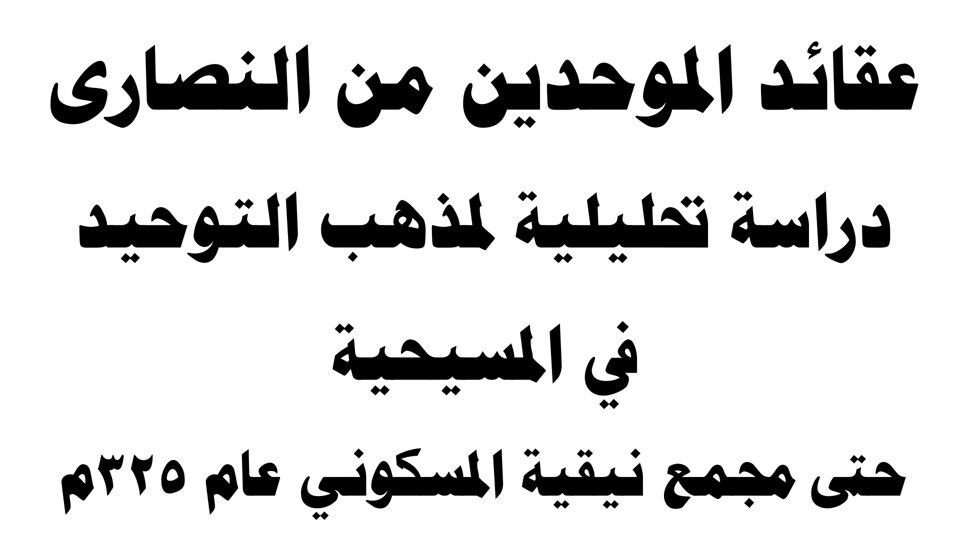


عقائد الموحدين من النصارى

دراسة تحليلية لمذهب التوحيد في المسيحية

حتى مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥م

د. عبد البديع محمد عبد الله محمد سالم

أكاديمي مصري، أستاذ العقيدة والأديان المساعد بقسم الدراسات الإسلامية - كلية العلوم والآداب بالخفجي – جامعة حفر الباطن

ملخص البحث

يتناولُ البحثُ عقيدةَ التوحيدِ عندَ أوائلِ النصارى؛ تلك العقيدةُ التي بدأت في التاريخِ المسيحيِّ - كمذهبٍ لاهوتيٍّ - بدايةً مُبكِّرةً جدًّا؛ والتي ثبت من خلالِ البحثِ أنَّها تَسبِقُ عقيدةَ التثليثِ المعروفةِ الآنَ بعشراتِ السنينَ، ولذلك فهي تعكِسُ التعاليمَ المسيحيةَ الأولى حولَ طبيعةِ اللهِ تعالى كلِّ دقَّةٍ.

فقد بيَّنَ البحثُ أنَّ التثليثَ الذي قرَّرَه المجتمِعونَ في مجمعِ نيقيةَ الأولِ كعقيدةٍ مُلْزِمةٍ للكنيسةِ، في بدايةِ القرْنِ الرابعِ للميلادِ، يُعتبَرُ انحرافًا عن الأصلِ الأولِ، أو عن العقيدةِ الصحيحةِ التي جاءَ بِها السَّيدُ المسيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومَن قبله من الأنبياءِ والرسلِ الكِرام.

وقد جاءَ في ثنايا البحثِ ما يُثبتُ أنَّ آريوس ومَن سبقَه من أوائلِ الموحِّدينَ، كانوا في حقيقةِ الأمرِ يُحاربونَ في معركةٍ غيرِ مُتكافئةٍ؛ عندما حاولوا إنقاذَ ما تَبقَّى من عقيدةِ التوحيدِ التي بُدِّدَت في مجمعِ نيقيةَ وما تلاه من مجامعَ كنسيةٍ أخرى!

فإذا كان بولس السيمساطي، وآريوس، وغيرُهما من أوائلِ الموحِّدينَ، قد عُرِفوا في التاريخِ المسيحيِّ عن طريقِ أعدائِهم ومُخالِفيهم الذين اعتبروهم جميعًا «مهرْطقين»، فمن الطبيعيِّ أن يتعرَّضوا لمحاولاتٍ كثيرةٍ من التشويهِ والدِّعاياتِ المُضلِّلَةِ، وأن تتعرَّضَ تعاليمُهم ومؤلَّفاتُهم لسلْسلةٍ من عملياتِ التحويرِ أو التزويرِ أو الطمْسِ..

لذلك، يَنبغي ألاَّ نلتفِتَ كثيراً إلى تضارُبِ الأخبارِ والأقوالِ حولَ عقائدِ أولئك الموحِّدينَ؛ إذ يكفينا أنّهم أعلنوا منذ البدايةِ تَمسُّكَهم بالمسيحيةِ الأولى، وجاهروا بإيمانِهم باللهِ الواحدِ الأحدِ، بل وهتفوا بأنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مُجرَّدُ إنسانٍ مخلوقٍ، غير أزليٍّ، ليس به جزءٌ لاهوتيٌّ، وإن صاحبته النعمةُ والعنايةُ الإلهيةُ؛ وهذا يكفي جِدَّاً للحُكمِ عليهم بأنَّهم مسلِمو العقيدةِ، ومن جملةِ الموحِّدينَ.

هذا، ويبدو أنَّ تلك العقائدَ المصطدِمةَ مع الفطرةِ وقواعدِ العقلِ والمنطقِ التي أقرَّتَها المجامعُ الكنسيةُ المدعومةُ من السلْطةِ الزمنيةِ الحاكمةِ، كانت سبباً مُهمَّاً في قيامِ عِدَّةِ حركاتٍ إصلاحيةٍ للكنيسةِ الكاثوليكيةِ في الغربِ؛ لعلَّ أهمَّها:

- حركةُ الإصلاحِ الديني البروتستاني، على يدِ أحدِ القساوسةِ الألمانِ - مارتن لوثر ت ١٥١٧م - في القرنِ السَّادسِ عشرَ للميلادِ.

كما كانت تلك العقائدُ سبباً قويَّاً في انتشارِ عدَّةِ حركاتٍ ودعواتٍ توحيديةٍ وإصلاحيةٍ في جميعِ أنحاءِ العالمِ المسيحيِّ، بعدَ أقلَّ من نصفِ قرْنٍ من قيامِ حركةِ الإصلاحِ الديني البروتستاني؛ مِنها على سبيلِ المثالِ:

- الحركةُ المُضادَّةُ للتثليثِ، التي انتشرت في شمالِ إيطاليا خلالَ الفترةِ من (١٥١٧م - ١٥٥٣م).

- والحركةُ المعاديةُ للتثليثِ في بولندا، التي ظهرت في منتصفِ القرْنِ السَّادسِ عشرَ. ومن قبلها «جماعةُ الليبراليينَ البولنديينَ»؛ التي أصدرت في عامِ ١٦٠٥م إعلاناً تقولُ فيه: «إنَّ اللهَ واحدٌ في ذاتِه. والمسيح إنسانٌ

حقيقيٌّ، ولكنه ليس مجرَّدَ إنسانٍ. وإنَّ روحَ القدسِ ليس أقنومـًا، لكنه قُدْرةُ اللهِ».

ثم أنكرَت الخطيئةَ الأصليةَ الأولى، أو خطيئةَ آدم المتوارثةَ كما هو الاعتقادُ السَّائدُ في المسيحيةِ.

كذلك، وصلَ الأمرُ بالموحِّدينَ في أوروبا إلى حَدٍّ أن كان لهم في دولةِ المجرِ حاكمٌ موحِّدٌ؛ هو «جون سيجسموند» الذي حكمَ المجرَ في الفترةِ (١٥٤١-١٥٧٠م) وهو ما يزالُ طِفلاً، بعد وفاةِ والدِه «يانوش زابوليا».

وقد عُرِف «جون سيجسموند» بتسامحِه الدينيِّ، وبتشجيعِه للحوارِ والمناظراتِ بين التوحيديينَ الكاثوليك واللوثريينَ والكالفنيينَ.

كما عُرِفَ عن المُحققِ البريطاني «جون بيدل» *John Biddle* (١٦١٥ - ١٦٦٢م)، بأنه «أبو مذهبِ التوحيدِ» في إنجلترا؛ حيث قامَ بنشاطٍ إصلاحيٍّ كبيرٍ في بريطانيا العُظمى، ونشرَ عِدَّةَ رسائلَ في التوحيدِ وإبطالِ عقيدةِ التثليثِ وألوهيةِ المسيحِ، الأمر الذي عرَّضَه وأتباعَه للاضطهادِ والسّجِنَ عدَّةَ مرَّاتٍ إلى أن ماتَ وهو سجينٌ، وبَقِيت أفكارُه الإصلاحيةُ ذاتَ تأثيرٍ كبيرٍ في الكثيرِ من مُتحرِّري الفكرِ في أوروبا؛ من أمثالِ: عالم الفيزياءِ الشهيرِ «إسحق نيوتن» *Issac Newton*، وعالم الاجتماعِ المعروفِ «جون لوك» *John Lock*، وغيرِهما ممن كان له أثرٌ كبيرٌ في النهضةِ الأوروبيةِ الحديثةِ.

وفي أمريكا أيضـًا، ظهرت عِدَّةُ حركاتٍ توحيديةٍ على يدِ الليبراليينَ، في القرنِ الثامنِ عشرَ في ولايةِ بوسطن؛ وكلُّهم كانوا آريوسيينَ في الأصلِ؛ من

أمثالِ الدكتور «تشالرز شاونستي» (١٧٠٥ - ١٧٨٧م) راعي كنيسةِ بوسطن، والدكتور «يوناثان ميهيو» الذي ناضلَ بِشدَّةٍ ضدَّ عقيدةِ التثليثِ.

كما تكوَّنت جمعيةُ التوحيدِ الأمريكيِّ عام ١٨٢٥م، وأُنشئت مدرستانِ لتخريجِ رجالِ دينٍ لنشرِ عقيدةِ التوحيدِ وتعاليمِ آريوسَ؛ إحداها في شيكاغو، والأخرى في «بركلي» - بكاليفورنيا - وغير ذلك الكثير.

هذا، أما عن واجبِنا - نحن المسلمينَ - تِجاهَ هؤلاءِ الموحدينَ من النصارى، فهو ليس فقط تفقُّدُ أماكنِ وجودِهم، وإنما التواصلُ الدائِمُ معهم، ومَدُّ يدِ العونِ لهم بقدرِ المُستطاعِ، ومحاورتُهم بِما يَستهدِفُ إظهارَ الحقائقِ وتقريبَ وجهاتِ النظرِ على أساسِ القدْرِ المشتركِ والمُتفقِ عليه في مسائلِ العقيدةِ بين الجميعِ.

واللهُ تعالى وليُّ التوفيق والسَّدادِ.

د. عبد البديع محمد عبد الله

dr.abdelbadie@yahoo.com

The Creeds of the Unitarian Christians. An Analytical Study of Christian Unitarianism until the Ecumenical Council of Nicaea, 325 A.D

Dr. Abdul-Badi' Muhammad Abdullah
Muhammad Salim

Egyptian Academic, Assistant Professor of Theology and Religions, the Department of Islamic Studies, the Faculty of Science and Literature, the University of Hafr ul-Batin

Abstract

This research deals with different Unitarian Christian groups that rejected the Trinitarian doctrine of the Apostle Paul. The topic is limited to the Unitarian Christians that existed at the time and before the first Ecumenical Council of Nicea held in 325 AD, under the auspices of Emperor Constantine the Great.

We're confident that the Unitarian Christianity wasn't heretical, but rather it was the original belief of the Christians. The belief in trinity was a deviation from that faith that was caused by different reasons and some of them were political. The doctrine of trinity was added to Christianity and has no real basis in their original Scriptures.

This research was divided into an introduction, three chapters, and a conclusion, as follows:

- The first chapter: the true essence of monotheism in Christianity before the Council of Nicea.

- The second topic: the impact of the Ecumenical Councils in the establishment of the Christian doctrines.

- The third topic: Unitarian Christian doctrines in the light of the Islamic thought.

After that I mentioned the conclusion and the results of the study. That was followed by the most important recommendations that I wanted to give which was a need to communicate with them, dialoguing and explaining that Islam contains all of the true doctrines that they also believe in.

المقدمة

الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ اللهِ ﷺ.

أمَّا بعدُ، فإنَّ الكاتبَ الأمريكيَّ المعاصرَ دان براون (*Dan Brown*) في روايتهِ الشهيرةِ التي أطلقَ عليها اسمَ: شِفرةُ دافنشي (*The Davinci Code*)، قد أشارَ إلى أنَّ الكنيسةَ الأولى في المسيحيةِ كانت على ديانةِ التوحيدِ الخالصِ، ومِن ثمَّ نأت بنفسِها عن الخوضِ في فكرةِ تجسُّدِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو الاعتقادِ بألوهيتهِ، أو القولِ ببُنُوَّتهِ ونحو ذلك.

فذكرَ أنَّ الكنيسةَ الأولى آمنت بأنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -فقط- نبيٌّ عظيمٌ، ورسولٌ ذو طبيعةٍ واحدةٍ، هي الطبيعةُ البشريةُ، وأنَّ اللهَ تعالى بعثَه؛ لهدايةِ بني إسرائيلَ وحدَهم، شأنه في ذلك شأن باقي أنبياءِ بني إسرائيلَ السابقينَ عليه.

كما ذكرَ أيضًا، أنَّ العقيدةَ المسيحيةَ الصحيحةَ التي جاءَ بِها المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي التي نادى بِها أحدُ أشهرِ القُسسِ السكندريينَ -وهو (آريوس بن أمونيوس) [٢٥٦- ٣٣٦م]- وغيرُه من مشاهيرِ دعاةِ التوحيدِ في النصرانيةِ، الذين وُصِفوا على غيرِ الحقيقةِ بالابتداعِ أو الهرطقةِ في تاريخِ المسيحيةِ!

أما من ادَّعى غيرَ ذلك وجعلَ من المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلهًا، فهو الإمبراطورُ الرومانيُّ قسطنطين [٢٧٤- ٣٣٧م]، المعروفُ بـ(قسطنطين العظيم)، الذي دخل في المسيحيةَ، لدافعٍ سياسيٍّ، عندما أرادَ توحيدَ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ تحتَ سلطانهِ -كما شهدَ بذلك المؤرِّخُ الإنجليزي المعروفُ (إدوارد

جيبـون) [ت ١٧٩٤م]، مـؤرِّخُ الدولـةِ الرومانيـةِ- وإلا، فهـو كـان في حقيقـةِ أمرهِ وثنيـًا في معتقداتهِ كُلِّها، وبعيداً عن جوهرِ العقيدةِ المسيحيةِ، ولـم يُعَمَّـد مَسيحيـًا إلا وهو على فِراشِ الموتِ، وبعدَ مرورِ ما يَقرُبُ مـن اثنتي عشـرةً سنةً على انعقادِ مجمعِ نيقية المسكوني الأول عام ٣٢٥م[١]!

وهذا في حقيقةِ الأمرِ ليس اكتشافـًا جديداً لـ(دان براون)، فقد سبقه لذلك أيضـًا كُتَّابُ المقـالاتِ الإسـلاميةِ -وكثيرٌ مـن كُتَّـابِ المقـالاتِ المسـيحيةِ- وأثبتـوا بمـا لا يَدعُو مجـالاً للشـكِّ أنَّ الكنيسـةَ الأولـى كانـت علـى التوحيـدِ الصـحيحِ، بـل وظلَّـت متمسِّـكةً بتعـاليمِ المسـيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الداعيـةِ إلـى الوحدانيةِ المطلقةِ، مدّةً طويلةً من الـزمنِ، ولـم يصبها الانحـرافُ في العقيـدةِ على المستوى الرَّسميِّ للديانـةِ، إلا مع بـداياتِ القرْنِ الرابعِ الميلاديِّ ومـا تلاه.

صـحيحٌ أنَّ الكنيسـةَ عـبرَ تاريخِهـا الطويـلِ، قـدَّمت دفاعـاتٍ عديـدةً وجاهـدت جِهـاداً مُضـنيـًا للحفـاظِ علـى عقيـدةِ البنـوَّةِ والتجسُّـدِ والصَّـلْبِ والفِداءِ ونحو ذلك، إلاَّ أنَّها بِما قدَّمته في السَّـابِقِ -أو بِمـا تُقدِّمُـه اليـومَ- مـن حُجـجٍ عقليـةٍ ونقليـةٍ في هـذه المسـائلِ الشـائكةِ، لا تُـدافِعُ بالضـرورةِ عمَّـا اسـتحدثه بابـا الإسـكندريةِ العشـرونَ -القـدِّيسُ (أثناسـيوس الرَّسـولي)

(١) راجع دان براون: الفصل ١٢٨ من رواية شفرة دافنشي، النسخة الإنجليزية: Brown, Dan. The Da Vinci Code. New York Doubleday, 2003، والنسخة العربية ترجمة: سمة محمد عبد ربه، ط١ سنة ٢٠٠٤م الدار العربية للعلوم، بيروت لبنان.

[٢٩٧-٣٧٣م] الذي يُعَدُّ البطلَ الأولَ لملْحَمةِ الأرثوذكسيةِ ضدَّ الآريوسيةِ (Arianism) في مجمعِ (نيقية)- مِن وجوبِ الاعتقادِ بلاهوتِ المسيحِ؛ لارتباطهِ الوثيقِ بقضيةِ الخلاصِ الروحيِّ؛ والذي عُرِف بقانونِ الإيمانِ المسيحيّ، أو القانون النيقاوي.

وإنما هي في الواقعِ تُدافِعُ عن فكرةٍ مُجرَّدَةٍ، قد تمَّ التمسُّكُ بِها في عصرٍ شهدَ تحوّلَ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ من الوثنيةِ إلى المسيحيةِ، بعدما كانت المسيحيةُ مضطهدَةً من قِبل أباطرةِ الرومانِ!

والحقُّ أنَّ القدِّيس آريوس، لم يكن وحدَه أولَ مَن رفضَ فكرةَ البنوَّةِ والتثليثِ، أو لم يكن وحدَه أولَ مَن أنكرَ لاهوتَ المسيحِ، بل كان هناك آخرونَ من قبلهِ أنكروا ذلك أيضاً؛ منهم على سبيلِ المثالِ: القدِّيسُ (مركيون) الذي ظهرَ في النصفِ الأولِ من القرنِ الثاني للميلادِ، والقدِّيسُ (بولس السيمساطي) أسقفُ أنطاكية الذي تولَّى الكرسيَّ الرسوليَّ بِها في المدّة من [٢٦٠- ٢٦٨م]، وغيرهما ممن سنشيرُ إليهم في تضاعيفِ هذه الدراسةِ.

هذا، فضلاً عن أنَّ هناك فِرَقاً كثيرةً من النصارى الموحِّدينَ -أو المنكرينَ لتأليهِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- قد ظهرتْ في التاريخِ المسيحيِّ وعرضَ لهم كُتَّابُ المقالاتِ المسيحيةِ، لكن على كُرْهٍ منهم، وفي إيجازٍ مبتورٍ، وبصورةٍ فيها تحرُّزٌ عن ذكرِ كلمةِ إنصافٍ في حقِّهم. إنَما فقط لإظهارِهم في صورةِ قاتلي لاهوت المسيحِ، أو المهرْطقينَ في العقيدةِ الصحيحةِ؛ على النحوِ الذي يَزعُمُه المدافعونَ عن القانونِ النيقاوي!

وهذه الدراسةُ، وإن أشارت في بعضِ صفحاتِها إشاراتٍ عابرةً إلى التأثيرِ الكبيرِ الذي أحدثته تعاليمُ آريوس في الفرقِ المسيحيةِ المختلفةِ على امتدادِ تاريخِ الكنيسةِ، إلاَّ أنَها في تحليلاتِها اقتصرت فقط على الموحدينَ من النصارى، قبلَ عقدِ مجمعِ نيقية المسكوني الأولِ عام ٣٢٥م، الذي تقرَّرَت فيه العقيدةُ الرسميةُ للكنيسةِ، ومن ثمَّ اضطُهِدَ كلُّ مخالفٍ لقراراتهِ ورُمِيَ بالهرطقةِ أو التجديفِ في العقيدةِ الصحيحةِ.

ونحن على يقينٍ كاملٍ بأنَّ التوحيدَ لم يكن بدعةً أو هرْطقةً في تاريخِ المسيحيةِ، بل هو الأصلُ فيها، وأنَّ الانحرافَ الذي أصابَ جوهرَه إنما جاءَ مُتأخّراً وبفعلِ عواملَ كثيرةٍ -أغلبُها ذاتُ أبعادٍ سياسيةٍ- ليس لها أيُّ سندٍ من العقلِ أو من الكتبِ المقدَّسةِ، بالرغمِ من تَدخُّلِ الأيدي فيها بالمحوِ والإثباتِ؛ لتجنُّب أيةِ أفكارٍ مخالفةٍ لعقيدةِ التثليثِ!!

لذلك، فالهدفُ الرئيسُ من هذه الدراسةِ، هو إزالةُ غُبارِ السنينَ عن أولئك الموحِّدينَ، وإظهارُهم بصورتِهم الحقيقيةِ، ووضعُهم تحتَ مجاهرِ الباحثينَ المسلمينَ؛ ليتعرَّفوا عليهم بعدَ أن تمَّ تجاهلُهم والتعفيةُ على آثارِهم بشكلٍ مُتعمَّدٍ، وليمدُّوا إليهم يدَ العونِ والمساعدةِ بعدَ أن ظلُّوا مقبورينَ في طيِّ النسيانِ، لا يُنظَرُ إليهم إلّا على أنَّهم منشقّونَ أو مارقونَ أو زنادقةٌ.

لذلك، تطلَّبت الدراسةُ استخدامَ منهجٍ يجمعُ بين التحليلِ والوصفِ والمقارنةِ معًا، وجاءتْ في مقدِّمةٍ، وثلاثةِ مباحثَ، وخاتمةٍ؛ على النحو التالي:

- **المبحثُ الأولُ**: حقيقةُ التوحيدِ في المسيحيةِ قبل مجمعِ نيقيةِ.

- **المبحثُ الثاني**: تأثيرُ المجامعِ المسكونيةِ في تقريرِ عقائدِ المسيحيةِ.

- **المبحث الثالثُ**: عقائدُ النصارى الموحدينَ في ضوءِ الفكرِ الإسلامِي.

ثم كانت الخاتمة، والمصادرُ والمراجعُ المُستعانُ بِها في الكتابةِ.

واللهُ تعالى وليُّ التوفيقِ والسَّدادِ.

كتبه: د. عبد البديع محمد عبد الله
أستاذ العقيدة والأديان المساعد
(كلية العلوم والآداب بالخفجي – جامعة الدمام)

المبحث الأول

حقيقة التوحيد في المسيحية قبل مجمع نيقية

لا يُماري أحدٌ من الباحثينَ في أنَّ رسالةَ السَّيدِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت مفيدةً في أوانِها، بل كانت بمثابةِ الضرورةِ المُلِحَّةِ؛ لإصلاحِ عقائدِ بني إسرائيلَ، وللتخفيفِ من حدَّةِ الجمودِ على النصوصِ الدينية الذي ورثته معظمُ طوائفِ اليهودِ، بعد انصرافِها عن جوهرِ العقيدةِ الصحيحِ ولُبابِ الإيمانِ الكاملِ.

كما لا يُماري أحدٌ في أنَّ الوحدانيةَ هي جوهرُ الأديانِ السماويةِ والأصلُ فيها، وأنَّ التعدُّدَ ما هو إلّا انتكاسةٌ ورِدَّةٌ عن ذلك الأصلِ. والبحوثُ التاريخيةُ تُظهر أنَّ عبادةَ الأرواحِ والأوثانِ للناسِ البدائيينَ في العالمِ -في كلِّ الأحوالِ- هي عبارةٌ عن انشقاقٍ عن مذهبٍ توحيديٍّ أصليٍّ(١).

أما القولُ بأنَّ الأديانَ قد مرَّت بأطوارٍ مختلفةٍ حتى وصلَتْ إلى التوحيدِ، فهو ادعاءٌ مبنيٌّ على نظرةٍ مجرَّدةٍ لعقائدِ الأقوامِ البدائيةِ التي ابتدأت بعبادةِ الطواطمِ(٢)، وانتهت بالوحدانيةِ عندما قبلت الأديانَ السَّماويةَ(١).

---

(١) انظر محمد عطا الرحيم: عيسى المسيح والتوحيد ص٧، ترجمة: عادل حامد، ط١ سنة ٢٠٠١م، نشر مركز الحضارة العربية بالقاهرة.

(٢) هناك طائفة من علماء الإنسان يقرنون بين الطوطم والدين، ويظنون أن الطواطم هي طلائع الأديان بين الهمج الأولين. والطوطم قد يكون حيواناً أو نباتاً أو حجراً، تتخذه القبائل وتجعل منه أباً لها، أو تزعم أن أباها الأعلى قد حل فيه، ومن ثم تقدسه وتتجمع =

فالعقائدُ الصحيحةُ إنما تُتلقَّى صافيةً من وحي السَّماءِ، ثم ما تَلْبَثُ أن يصيبَها نوعٌ من التحريفِ أو الانحرافِ عن سيرتِها الأولى!

ورسالةُ المسيحِ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هي في الأساسِ رسالةٌ توحيديةٌ، قبلَ أن تنتكِسَ إلى التثليثِ وتحيدَ عن طريقِ الرسالاتِ السَّماويةِ، أو قبلَ أن تُصاغَ من جديدٍ صياغةً وثنيةً؛ بفعلِ عواملَ كثيرةٍ، لعلَّ أهمَّها هو الغزو الروماني - الوثني - المستنِدُ إلى السلطةِ الزمنيةِ في الفترةِ التي تَلت رفعَ السَّيدِ المسيحِ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والذي كان من نتيجتهِ اضطهادُ الحواريينَ المؤمنينَ بوحدانيةِ اللهِ تعالى، وإدخالُهم في ظروفٍ صعبةٍ من النفي والتشريدِ، أو من القتلِ والتعذيبِ(٢)!

والحقُّ أنَّ مشكلةَ الديانةِ المسيحيةِ اليومَ، تتجلَّى فيما يكتبُه مؤرِّخو الكنيسةِ الحاليونَ الذين ورِثوا تُراثًا دينيًا مُغلَّفًا بقشرةٍ سميكةٍ من الفلسفةِ

=

حوله وتحرم قتله أو أكله.

انظر عباس محمود العقاد: الله -كتاب في نشأة العقيدة الدينية ص١٣ وما بعدها، ط٨ دار المعارف بالقاهرة، ودار نهضة مصر بالفجالة، ضمن مشروع القراءة للجميع لعام ١٩٩٨م.

(١) يبدو أن الأستاذ العقاد يميل إلى ذلك الرأي القائل بالتطور في العقائد من التعددية إلى الوحدانية، عندما تحدث عن نشأة العقيدة عند الإنسان، في كتابه السابق؛ قائلاً ص١٣: «ترقى الإنسان في العقائد، كما ترقى في العلوم والصناعات».

(٢) راجع ول ديورانت: قصة الحضارة ١١: ٢٠٢ وما بعدها، ترجمة: محمد بدران، ط سنة ٢٠٠٢م، طبعة خاصة بمشروع القراءة للجميع (مكتبة الأسرة).

اليونانيةِ، منذ القرنِ الرابعِ للميلادِ؛ تلك القشرةُ التي غيَّرت من شكلِ الديانةِ، وبدَّلت من طبيعةِ النبوَّةِ ومهمَّةِ النبي. ودورُ الباحثينَ اليومَ هو إزالةُ هذه القشرةِ، وتوضيحُ مدى اختلافِ العقيدةِ الأصليةِ عمَّا هي عليه الآن.

ولقد نطقت الأناجيلُ بالطبيعةِ البشريةِ للمسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأقرَّت بالوحدانيةِ المطلقةِ للهِ تعالى، على الرغمِ مما أصابَها من تحريفٍ بسببِ أنَها لم تُدوَّن إلّا بعد وفاةِ المسيحِ بزمنٍ طويلٍ، ومع ذلك بقي جزءٌ كبيرٌ من تلك الحقيقةِ التي تحظرُ الاعتقادِ بالتثليثِ.

ويمكنُ الإشارةُ إلى الخطوطِ العامَّةِ لهذه العقيدةِ أو لتلك الحقيقةِ، كما أوردتها الأناجيلُ، من خلالِ نصوصِ الكتابِ المقدَّسِ(١) التاليةِ:

١. جاءَ في الإصحاحِ العاشرِ من إنجيلِ متى، فقرة (٤١): «مَن يقبلُكم يقبلُني، ومَن يقبلُني يقبلُ الذي أرسلني». وجاءَ في الإصحاحِ التاسع عشرَ منه أيضاً فقرة (١٧): وإذا واحدٌ تقدَّمَ وقالَ له: «أيها المعلِّمُ الصَّالحُ، أيَّ صلاحٍ أعملُ لتكونَ ليَ الحياةُ الأبديةُ»؟ فقالَ له: «لماذا تدعوني صالحاً؟! ليس أحدٌ صالحاً إلّا واحدٌ وهو اللهُ». وفي الإصحاحِ السَّابعِ والعشرينَ مشهدٌ يُصوِّرُ فزعَ يسوع(٢) من الموتِ، واستغاثَته باللهِ الخالقِ، قائلاً: «إيلي،

---

(١) اعتمدنا في إيراد النقول على كتاب العهد الجديد -الطبعة المعتمدة من الكنيسة المصرية- ط٦ سنة ١٩٩٩م، دار الكتاب المقدس بالقاهرة.

(٢) سُمي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بيسوع Yeshu'a -أو يسوع الناصري- ومعناه: معين يهوه. وقد حرف اليونان الاسم إلى Iesous، والرومان إلى Iesus. انظر: قصة الحضارة ١١: ٢١٣.

إيلي، لماذا شبَقتَني؟!»؛ أي: إلهي، إلهي، لماذا تتركني؟!

٢. وفي إنجيلِ مُرْقص، تَرِدُ نفسُ الاستغاثةِ في الإصحاحِ الخامس عشرَ فقرة (٣٥)، بلفظِ: «إلوِي إلوِي، لِمَ شَبقتني؟!». وفي الإصحاحِ الرابع عشرَ منه، يُصرِّحُ المسيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ببشريتهِ بعدَ العشاءِ الأخيرِ، وتلميحه بخيانةِ (يَهوذا الإسْخريوطي)[١] له، قائلاً: «إنَّ ابنَ الإنسانِ ماضٍ كما هو مكتوبٌ له، ولكن ويلٌ لذلك الرجلِ الذي به يُسَلَّمُ ابنُ الإنسانِ. كان خيراً لذلك الرجلِ لو لم يُولَد!». وفي الإصحاحِ الثالث عشرَ يُصرِّحُ يسوعُ بعدمِ عِلْمهِ بوقتِ قيامِ السَّاعةِ؛ قائلاً: «وأما ذلك اليومُ وتلك الساعةُ فلا يعلمُ بِهما أحدٌ، ولا الملائكةُ الذين في السماءِ ولا الابنُ، إلّا الآبُ»[٢].

٣. وجاءَ في الإصحاحِ الثاني من إنجيلِ لوقا، فقرة (٤٠) -تحتَ عنوانِ: الصبيُّ يسوعُ يَمكُثُ في الهيكلِ-: «وكان الصبي -يسوع- ينمو ويتقوى بالروحِ، ممتلئًا حكمة، وكانت نعمة اللهِ عليه».

٤. وفي إنجيل يوحنا، جاءَ في الإصحاحِ الرابع عشرَ فقرة (٢٢): «الذي لا يُحبني لا يحفظ كلامي، والكلامُ الذي تسمعونَه ليس لي، بل للآبِ الذي أرسلني». وفي الإصحاحِ السابع عشرَ منه فقرة (٤): «وهذه هي الحياةُ الأبديةُ: أن يعرفوكَ أنت الإلهَ الحقيقيَّ وحدكَ، ويسوعَ المسيحَ الذي أرسلته».

---

(١) أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر، وأسماؤهم وردت في الإصحاح العاشر من إنجيل متى.

(٢) يستخدم لفظ الآب هنا، للدلالة على معنى الربوبية، وسوف نتناول ذلك المعنى فيما بعد.

هـذا، بخـلافِ العديـدِ مـن الإشـاراتِ التـي وردت في الكتـابِ المقـدَّسِ وتشيرُ صراحةً أو ضِمناً إلى تلك الطبيعةِ البشريةِ للسَّيدِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وحتى العبارات التي تَنطقُ بلفظِ الربِّ صراحةً في وصفِه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فإنَها لا تُفيد معنى الإلهِ الخالقِ الواهبِ للحياةِ، وإنَما تفيدُ معنى السَّيدِ المـُطاعِ في قومهِ؛ ذلك أنَّ أوائلَ المسيحيينَ بِحكمِ أنَهم عاشوا في فلسطينَ تحتَ حكمٍ يونانيٍّ مُسيطرٍ بثقافتهِ، قد تأثروا إلى حَدٍّ كبيرٍ بالثقافةِ اليونانيةِ؛ فاستخدموا كلمةَ (الرَّب) في جانبِ المسيحِ بمعناها الإغريقي (Kyrios)؛ أي: المولى أو السَّيد، وليست بمعنى الإلهِ الخالقِ[1].

فالذي نعتمده من حقائق في هذه الدراسة نُحاجِجُ بها القومَ، هي ما تنطِقُ بِها الأناجيلُ المعتمدةُ لدى الكنيسةِ، والنصُّ يُدلي بشهادتهِ فيها دونَ حاجةٍ إلى تأويلٍ أو تفسيرٍ.

هذا، ولـمَّا كانت دعوةُ السَّيدِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أساسِها رسالةً إلى بني إسـرائيلَ فقـط، كمـا جـاءَ علـى لسـانِ صـاحبِها، ورواه متـى في الإصـحاحِ الخامس عشرَ من إنجيله فقرة (٢٥)، قائلاً:

«لم أُرْسَل إلّا إلى خِرافِ بيتِ إسرائيلَ الضَّالَّةِ»، وكما صرَّحَ بأنه ما جاءَ ليُنكرَ الرسالاتِ السابقةَ، وإنَما جاءَ ليكَمِّلَها؛ بقولـهِ في الإصحاح الخامس من إنجيل متى أيضـاً، فقرة (١٨): «لا تظنُّوا أني جِئتُ لأَنقُضَ الناموسَ أو الأنبياءَ. ما جِئتُ لأَنقُضَ بل لأُكَمِّلَ».

---

(١) د. كامل سعفان: مسيحية بلا مسيح ص١٣، ط سنة ١٩٩٧م، دار الفضيلة بالقاهرة.

فهي لذلك كانت تُحارِبُ اتجاهينِ تأصَّلا عند اليهودِ؛ هما:

١- شغفُهم بالمادَّةِ وإهمالُهم الناحيةَ الروحيةَ فيهم.

٢- ادِّعاؤهم أَنَهم شعبٌ مُختارٌ، وادِّعاءُ أحبارِهم أَنَهم الصِّلةُ بين اللهِ والناسِ، وبِدونِهم لا تَتمُّ تلك الصِّلةُ بين الخالقِ والمخلوقِ(١).

وبالرغمِ من أنَّ التأصيلَ التاريخيَّ لتلك الأناجيلِ ما يَزالُ محلَّ شكٍّ كبيرٍ(٢)، من قبلِ العديدِ من المؤرِّخينَ والمفكِّرينَ المسيحيينَ أنفسِهم، فقد اجتهدَ بعضُهم في محاولةِ فكِّ الحظرِ المفروضِ عليها من زعماءِ الكنيسةِ،

---

(١) راجع د. أحمد شلبي: المسيحية ص٤١ -ضمن سلسلة مقارنة الأديان- ط٦ سنة ١٩٨٧م، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

(٢) الحق أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لم تُبدل أو يُنتقص منها على مر العصور فقط، وإنما أيضـًا احتوت على قصص وصور فاسدة لا يمكن أن تعد شاهدة على صدق الدعوة، وإن احتوت على بعض الحقيقة، فضلاً عن أَنها كتبت بعد وفاة المسيح بمدة طويلة:

- فأول إنجيل كتبه مرقص كان حوالي ٦٠- ٧٥م.

- ومتى الذي كان جامع ضرائب أو موظفـًا صغيراً، لم يستطع التحرك مع المسيح في أسفاره العديدة.

- أما لوقا الذي كان طبيبـًا لبولس ولم يقابل المسيح مثل بولس، فقد كتب إنجيله في مرحلة متأخرة.

- وكذلك يوحنا الذي كتب إنجيله حوالي سنة ١٠٠م، ظل الجدل حول إنجيله محتدمـًا مدة قرنين من الزمان عما إذا كان يمكن قبوله كإنجيل معتمد يصف حياة المسيح، ومن ثم يدخل ضمن الكتب المقدسة أو لا، إلى أن اعتمدته الكنيسة مع بدايات القرن الرابع.

- راجع مؤلفي الأناجيل الأربعة: http://ar.wikipedia.org/wiki.

لكن كان يَتوجَّبُ عليهم أن يَلْجؤوا إلى مفرداتٍ أو مصطلحاتِ الفلسفةِ اليونانيةِ، التي كانت شائعةً في عصرِ كتابةِ الأناجيلِ، لحلِّ أحاجي الألفاظِ والعباراتِ التي تجعلُ من الأقانيمِ[(١)] الثلاثةِ شيئًا واحداً، وتلك التي تجعلُ من الصليبِ المصنوعِ من الخشبِ أو المعدنِ كاشفًا للأسرارِ اللاهوتيةِ!

لكن، يبدو أنَّ المفكرينَ المسيحيينَ -وبخاصَّةٍ الأوربيونَ منهم- شيءٌ، ورجالَ الكنيسةِ وعوامَّ المسيحيةِ شيءٌ آخرَ؛ ذلك أنَّ المثقفَ المسيحيَّ -في الغالبِ- كلمَّا ازدادَ تعمُّقًا في دراسةِ الأناجيلِ ازدادَ بُعداً عنها؛ لِما يَظهرُ له فيها من تناقضاتٍ وتعقيداتٍ واستحالاتٍ عقليةٍ كثيرةٍ؛ بل وكان معها أقربَ إلى الدخول في دينٍ آخرَ، أو ربَّما كان أكثرَ ميلاً إلى الإلحادِ والشكِّ في الموروثِ الديني كلِّهِ.

وهذا الوضعُ الـمُضطربُ أو المأساويُّ! لحالةِ لمثقفِ المسيحيِّ مع الإنجيلِ، يختلفِ عما هو عليه مع المثقفِ المسلمِ الذي يزيدُ حبُّه للإسلامِ وإقبالُه عليه وتقديرُه له كُلَّما تعمَّقَ في دراستهِ وتأدَّبَ بأخلاقهِ ومبادئهِ.

---

(١) يعتقد الجمهور الأعظم من النصارى، أن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة. والأقنوم (Hypostasis) لفظة يونانية تعني الشخص (Person)، وهذه الأقانيم أو الأشخاص الثلاثة هي:

- شخص أو أقنوم الآب، وهو الله من حيث الجوهر، والأصل من حيث الأقنوم.
- وشخص الابن، وهو الله من حيث الجوهر، والمولود من حيث الأقنوم.
- وشخص روح القدس، هو الله من حيث الجوهر، والمنبثق من حيث الأقنوم.

راجع معنى (أقنوم) ضمن أسئلة اللاهوت والإيمان والعقيدة، موقع القديس تاكلا: http://st-takla.org.

وعلى أيةِ حالٍ فإنَّ الاعتقادَ الذي كان سائداً في المسيحيةِ الأولى، هو أنَّ المسيحَ كلمةُ اللهِ -أي أنه وُجِدَ بكلمتهِ وأمرهِ لا غيرَ، من غيرِ واسطةِ أبٍ ولا نطفةٍ[1]-؛ وهذا معناه القريبُ أنه ليس كاملاً، وإن كان مملوءاً بالرغبةِ نحو الكمالِ. ومعناه أيضاً أنه من جوهرٍ مختلفٍ عن جوهرِ الآبِ، ولا يُشاركه في الوجودِ الحقيقيِّ أو في الأزلِ؛ فقد خَلا منه زمانٌ، رغمَ الاعتقادِ بأنه أولُ المخلوقاتِ وأرقاها..

والآريوسيةُ -كما سنرى- لم تفعل شيئًا سوى أنها حاولَت إنقاذَ ذلك الاعتقادِ أو المحافظةَ عليه وحراستهَ من محاولاتِ تشويههِ أو النيلِ منه، رغمَ أنَّ توحيدَ آريوس وأتباعهِ لم يكن خالصاً، أو لم يكن كامِلاً عندما نُقِلَ لنا، بل كانت به شوائبُ شِرْكيةٌ كثيرةٌ.

ذلك أنَّ طائفةَ الأريوسيةِ، كما نُقِل عنها، كانت تُنكر فكرةَ التنزيل الإلهيِّ؛ لاعتقادِها أنه ليس هناك صِلةٌ بين اللهِ والإنسانِ: فاللهُ -عندهم- بعيدٌ عن الإنسانِ بُعداً مُطلقاً، ومُستقلٌّ استقلالاً كاملاً عن الخليقةِ، وليس في مقدورِ الإنسانِ أن ينفذَ إلى سِرّهِ الـمُستغلقِ.

بالإضافةِ إلى اعتقادِهم أنَّ الابنَ لا يمكنُ أن تكونَ له أيةُ معرفةٍ جوهريةٍ عن الآبِ؛ لأنَّ الآبَ خفيٌّ -مستورٌ- عن كلِّ شيءٍ، والابنَ كلِمتهُ، والكلمةُ

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ١: ٥٩٣، ضبط وتصحيح: مصطفى حسين أحمد، ط٣ سنة ١٩٨٧م، دار الريان للتراث بالقاهرة، ودار الكتاب العربي ببيروت لبنان.

لا تستطيعُ أن ترى أباها الرؤيةَ الكاملةَ أو أن تعرفَه المعرفةَ التامَّةَ[١].

لكن على الأقلِّ لم تكن الآريوسيةُ تثليثاً بحالٍ من الأحوالِ، ولم تتعدَّ نظرتُها للمسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الطبيعةَ البشريةَ له، مع تفاوتٍ في تقديسِها أو في تقديرِها لمكانتهِ من اللهِ تعالى. كما أقرَّت بأنَّ جوهرَ الآبِ يختلِفُ عن جوهرِ الابنِ، فضلاً عن أنَها هدمت نظريةَ الفِداءِ والكفَّارةِ بإنكارِها وجودَ أي اتحادٍ حقيقيٍّ بين اللاهوتِ والناسوتِ؛ وهذا ربَّما يكونُ كافياً لاعتبارِها من جملةِ الفرَقِ المسيحيةِ الموحِّدَةِ[٢].

هذا، مع أهميةِ التأكيدِ على أنَّ التوحيدَ إذا قُيِّدَ بطائفةٍ أو بأحدٍ من الناسِ، فهو بحسبِ مَن يُضاف إليه، إذ لا توحيدَ على الحقيقةِ إلّا ما أرسلَ الله به رسلَه وأنزلَه في كُتبهِ؛ وهو التوحيدُ المطلقُ الذي يفردُ اللهَ تعالى بالخلْقِ والأمرِ، ويُوجّه النفوسَ له وحده بالعبادةِ والخضوعِ والتسليمِ المطلقِ.

الموحدون الأوائل في المسيحية:

الحقُّ أنَّ الاعتقادَ بلاهوتِ المسيحِ يُمثِّلُ حجرَ الزاويةِ في الإيمانِ المسيحيِّ منذ عقدِ مجمعِ نيقيةَ المسكوني الأول عام ٣٢٥م -وسنعرِضُ له

---

(١) انظر: د.رمسيس عوض: الهرطقة في الغرب ص٧٣، ط١ سنة ١٩٩٧م، دار سينا للنشر بالقاهرة، ومؤسسة الانتشار العربي بيروت لبنان.

(٢) ونعني بها الفرق المسيحية التي تعتقد بأن الله واحد لا شريك له في الخلق والعبادة، وأن المسيح هو عبدالله ورسوله، إنسان ذو طبيعة بشرية واحدة، مع الرفض التام لفكرة التثليث والصلب والفداء والتجسد ونحو ذلك مما تقرر فيما بعد نيقية.

في حينـهِ- وحتـى اليـومَ؛ ذلـك الاعتقـادُ الـذي قـدَّمت الكنيسـةُ في سـبيلِ المحافظةِ عليه تضحياتٍ كبيرةً، نالـت مـن سـمعتِها ونزاهتِهـا وقدسيتِها عند كثيرٍ مـن المـؤمنين بِهـا، فضـلاً عـن غيـرِهم مـن البـاحثينَ في علـم اللاهـوتِ ومقارنةِ الأديانِ على وجهِ الخصوصِ.

فالمسيحيةُ في الحقيقةِ، لم تقضِ على الوثنيةِ -كما كـان المـأمولُ منهـا- وإنَما أعادت العقلَ اليونـانيَّ والوثنيـةَ اليونانيـةَ إلـى الحيـاةِ في صـورةٍ جديـدةٍ، هي صورةُ لاهوتِ الكنيسةِ وطقوسِها؛ كما يَذكرُ مـؤرِّخُ الحضـارةِ المعـروفُ (ول ديورانت)، قـائلاً: «ولمـَّـا أن فتحـت المسـيحيةُ رومـا، انتقـلَ إلـى الـدينِ الجديدِ بِناءُ الدينِ الوثني القديمِ؛ وانتقلَ إليه لقبُ الحبر الأعظم (Pontifex Meximus)، وعبادةُ الأمِ العُظمى، وعددٌ لا يُحصى من الأربابِ..»(١).

ونحن هنا لسنا في مجـالِ تقـويمِ الديانـةِ، أو البحـثِ عـن الأصـولِ الوثنيـةِ فيهـا، فقـد كفانـا أمـرَ ذلـك بـاحثونَ كُثُـرٌ؛ أشـارَ إلـى بعضِـهم ونقـلَ أقـوالَهم وحققها من مصادِرها المختلفةِ، العلاَّمةُ المرحومُ -بإذن الله تعـالى- محمـد بن طاهر التَّنِّير [ت ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م](٢)، في كتابهِ النافع: «العقائـدُ الوثنيـةُ

---

(١) قصة الحضارة ١١: ٤١٨.

(٢) هو: محمد طاهر بن عبد الوهاب بن سليم التنير، ولـد في بيـروت، وأصـدر جريـدة دعاهـا (المصور)، ورحل إلى سويسرا، ودرس في إحدى جامعاتها سنة واحدة، ثم عاد إلـى بلـده وأقام بقرية تسمى (عين عنُّوب)، ثم وظف في إدارة جريدة الشرق، ثـم رحـل إلـى سـورية وتوفي في مدينة تدمر عام ١٩٣٣م ودفن بها. من آثاره: العقائد الوثنية في الديانـة النصـرانية، وعلم الفلك والطبيعيات، والأنوار السنية والدر النضير بالاشتراك مع والده. انظر مقدمـة =

في الديانةِ النصرانيةِ»[١].

لكننا فقط نشيرُ إلى أنَّ آباءَ الكنيسةِ الأولى[٢] كانوا يُصرِّونَ على وحدانيةِ اللهِ تعالى، ويَمقتُونَ أيةَ عقيدةٍ تدعو إلى التثليثِ أو التجسُّدِ أو الصَّلْبِ والفِداءِ ونحو ذلك.

فقد خرجَ من بينِ المسيحيينَ الأوائلِ رسوليِّونَ وعددٌ من القدِّيسينَ والعلماءِ، الذين حاولوا جهدَ طاقتِهم أن يعيشوا ويَتصرَّفوا مثلما كان يفعلُ المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكثيرٌ منهم كان يعيشُ في شمالِ أفريقيا[٣].

وآباءُ الكنيسةِ الأوائلِ، يمكنُ تقسيمُهم إلى ثلاثِ مجموعاتٍ رئيسةٍ؛ وهي:

١- **الآباءُ الرسلُ**: ويُقصَدُ بِهم الآباءُ السَّبعونَ -الذين تعلَّموا في الغالبِ

=

لجنة محققي الكتاب عن نسخته الأولى بدون بيانات.

(١) طبع الكتاب في نسخته الأولى في ٥/ ٤/ ١٩١٢م الموافق ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠هـ.

(٢) الكنيسة: اسم سرياني بمعنى (مجمع). والكلمة اليونانية المستخدمة في العهد الجديد هي كلمة (اكليزيا) التي تعني: مجمع المواطنين في بلاد اليونان، والتي كانت الحكومة تدعوهم فيها للتشريع أو أمور أخرى. وقد استعملت الكلمة نفسها للدلالة على مجمع المؤمنين بالمسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

- أما الكنيسة الأولى فقد أسسها القديس بطرس في مدينة أورشليم حوالي عام ٣٠م. راجع: قاموس الكتاب المقدس ص٧٨٨.

(٣) انظر: عيسى المسيح والتوحيد ص٧٩.

على رسلِ المسيحِ الاثني عشرَ[1] (TheTwelve Disciples)- أو أولئك الذين كانوا معاصرِينَ لهم؛ ومن ثمَّ حملوا منهم أو نقلوا عنهم التقاليدَ والتعاليمَ الرَّسوليةَ؛ من أمثالِ: القدِّيس مرقص الرسول الذي كرَّزَ في مصرَ ونُسِبت له كنيسةُ الإسكندريةِ[2]، والقدِّيس يوسف القبرصي (برنابا) الذي قدَّمَ بولس إلى التلاميذِ بعدما كانوا يخافونَ سطوتَه عليهم، والقدِّيس لوقا الأنطاكي الذي كان طبيباً لبولس، وهو صاحبُ الإنجيلِ المعروفِ باسمه، وسفر أعمالِ الرسلِ الذي خلَّدَ فيه أقوالَ ورسائلَ وتعاليمَ بولس.

٢- **آباءُ ما قبلَ مجمعِ نيقيةَ**: ويُقصد بهم الذين جاؤوا بعدَ الآباءِ الرسلِ، وقبلَ انعقادِ مجمعِ نيقيةَ المسكوني الأولِ عام ٣٢٥م؛ من أمثالِ: القدِّيس إيرانيوس [ت ٢٠٠م]، والقدِّيس ترتليان [ت ٢٢٠م]، والقدِّيس أوريجن السَّكندريّ أو أوريجانوس [ت ٢٤٥م]، والقدِّيس لوسيان [ت ٣١٢م]، والقدِّيس آريوس [ت ٣٣٦م].

٣- **آباء ما بعدَ مجمعِ نيقيةَ**: وهم كُثرٌ، ومعروفونَ بعدَ إقرارِ العقيدةِ الرسميةِ؛ من أمثالِ: الأسقف أغسطنيوس [ت ٤٣٠م، والأسقف يوسابيوس القيصري [ت ٣٣٩م] الذي يوصفُ بأنه أبو التاريخِ الكنسي؛ حيث كتبَ تاريخَ الكنيسةِ منذ ولادةِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وحتى عام ٣٢٤م -

---

(١) الرسل الاثنا عشر، ذكروا بالاسم في الإصحاح الخامس من إنجيل متى.

(٢) استعرض الشماس منسي القمص في كتابه (تاريخ الكنيسة القبطية) هذه المجموعات الثلاث لآباء الكنيسة الأوائل، انظر ص٧ وما بعدها، ط١ سنة ١٩٢٤م مكتبة اليقظة بالفجالة، مصر.

أي قبلَ عقد مجمع نيقيةَ بعامٍ واحدٍ-، والأسقف جيروم [ت ٤٢٠م] - ويُعرَفُ بالقديسِ إيرونيموس- الذي قامَ بترجمةِ العهدِ الجديدِ من اليونانيةِ إلى اللاتينيةِ، والتي عُرِفت ترجمتُه بالفولجاتا (*Latin Vulgate*) أو بالترجمةِ الشعبيةِ؛ وهي التي ظلت وحدها الترجمةَ الوحيدةَ والمعتمدةَ للكنيسةِ الكاثوليكيةِ حتى عصرِ النهضةِ. وكذلك الأسقف أمبروزو -أو أمبروسيون- أسقف ميلان [ت ٣٩٧م]، الذي كان له الدورُ الرئيسُ في تحوّلِ الإمبراطورِ قسطنطين العظيمِ إلى المسيحيةِ، وغيرهم.

هذا، ونكتفي هنا بتناولِ المجموعتينِ الأُوليَينِ من آباءِ الكنيسةِ، ونشيرُ فقط إلى أشهرِ الموحِّدينَ منهم، وإلى بعضِ تعاليمِهم بإيجازٍ غيرِ مخلٍّ؛ فيما يلي:

- **أولاً: الآباء الرسل:**

ونختارُ منهم على سبيلِ المثالِ:

- القدِّيسُ برنابا(1) (*St Barnabas*): واسمه: يوسف القبرصي -كما ذكرنا- وهو، كما تذكر كتب النصارى، أحدُ تلاميذ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) هو الذي عرف التلاميذ بإيمان شاؤول (بولس الطرسوسي) بعد أن كانوا يخافونه لاضطهاده تلاميذ المسيح.

وهو في الأصل قبرصي من سبط لاوي، لم يسكن فلسطين إلا في أواخر عمره، اختلف مع بولس بسبب إصرار الأخير على عدم اشتراط الختان لمن يدخل المسيحية. توفي حوالي سنة ٦٠م.

- انظر: سفر أعمال الرسل ٤: ٣٦، ٩: ٢٦- ٢٧، ١١: ٢٣- ٢٤.

السبعينَ على الأقلِّ، وإن لم يكن من التلاميذِ الاثني عشرَ، وقد دعاه التلاميذُ: «برنابا»؛ أي ابن العزاءِ، أو ابن الوعظِ. وهو أيضًا خالُ القدِّيسِ مرقص الرسول.

وللقدِّيسِ برنابا إنجيلٌ معروفٌ باسمِ: إنجيلِ برنابا(١)، لم تعترف به الكنيسةُ أو لم تعترف به الطوائفُ المسيحيةُ؛ لكونهِ يتعارضُ مع المبادئ الدينيةِ والتاريخيةِ المقرَّرةِ لدى المسيحيةِ؛ من اعتبارِ أنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بشرٌ ورسولٌ لبني إسرائيلَ فقط، وأنه بَشَّرَ برسولٍ خاتَمٍ أعظمَ منه سيأتي من بعده إلى شعوبِ الأرضِ كافَّةً، وأنَّ وظيفةَ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما هي أشبهُ بوظيفةِ (يوحنا المعمدان) -أو النبيّ يحي بن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ- الذي تنبأَ بقدومِ مَن هو أعظمُ منه.

إذن، فالعقائدُ الأساسيةُ التي هي مَثارُ خلافٍ كبيرٍ بين المسلمينَ والنصارى، هي في إنجيلِ برنابا المذكورِ محلُّ اتفاقٍ تامٍّ مع عقائدِ المسلمينَ؛ حيث يشيرُ إلى أربعِ عقائدَ رئيسةٍ تتفقُ تمامَ الاتفاقِ مع العقيدةِ

---

(١) قام المؤرخ خليل سعادة بترجمته من الإنجليزية عن نسخة ترجمها القس (لوندال) من الإيطالية، ثم تولى فضيلة الشيخ رشيد رضا بنشرها عام ١٩٠٨م.
- ثم قام السيد سيف الله أحمد فاضل بتحقيقها ونشرها مرة أخرى عام ١٩٧٣م، مشفوعة بدراسة وافية حول وحدة الدين عند الأنبياء الثلاثة، وعقد فيها مقارنة ما بإنجيل برنابا بآي القرآن الكريم والحديث الشريف، مع توضيح أوجه الشبه والخلاف، والقطع بأن إنجيل برنابا لم يكن من وضع المسلمين كما يدعي أغلب المستشرقين.
- والطبعة التي اعتمدنا عليها هي، ط١ سنة ١٩٧٣م، دار القلم بالكويت.

الإسلاميةِ[1]؛ وهي:

- **أولاً**: اعتبارُ المسيحِ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، عبداً للهِ ورسولاً منه إلى بني إسرائيلَ، وليس ربًّا، ولا ابنًا، ولا ثالثَ ثلاثةٍ:

– فقد جاءَ فيه تحتَ عنوانِ «خوفُ يسوع وصلاتُه وتعزيةُ الملاكِ جبريلَ العجيبةُ»، ما نَصُّه: «.. وبعد أن صرفَ الليلَ كلَّه في الصَّلاةِ، صلَّى في الصَّباحِ قائلاً: يا رب إني عالمٌ أنَّ الكتَبَةَ يبغضونني، والكهنةَ مُصمِّمُونَ على قتلي أنا عبدُك، لذلك أيها الربُّ الإلهُ القَدِيرُ الرَّحيمُ: اسمع برحمةٍ صلواتِ عبدكِ وأنقذني من حبائِلهم؛ لأنك تَعلمُ أنت خلاصي وأنتَ تعلمُ يا ربُ أني أنا عبدُك إيَّاك أطلبُ يا ربُّ..».

وواضحٌ أنَّ هذا النصَّ يثبتُ عبوديةَ المسيحِ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ للهِ عزَّ وجلَّ.

– وفي نصٍّ آخرَ يُقرِّرُ أنه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ نبيٌّ مُرْسَلٌ إلى بني إسرائيلَ؛ حيث جاءَ تحتَ عنوانِ «كيف يجبُ على الإنسانِ أن يُحِبَّ الله»، ما نصُّهُ:

«.. أجابَ يسوعُ: كلُّ كلمةٍ من كلماتي صادقةٌ؛ لأنها ليست مِنِّي بل من اللهِ الذي أرسلني إلى بيتِ إسرائيلَ..».

– وفي نصٍّ آخرَ يُبدي فيه المسيحُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ استياءَه ممن سيدعونَه: إلهًا أو ابنَ الإلهِ؛ حيث جاءَ في الفصلِ الثاني والخمسينَ، ما نصُّهُ: «الحقَّ أقولُ لكم مُتكلِّمًا من القلْبِ: إني أقشعِرُّ؛ لأنَّ العالمَ سيدعوني إلهًا، وعليَّ أن

---

(١) راجع عبد الحميد سرحان: العقائد الإسلامية وإنجيل برنابا ص١٥ وما بعدها، ط مكتبة الصحابة الإسلامية، السالمية – الكويت.

أقدِّمَ لأجلِ هذا حِساباً لعمرِ اللهِ الذي نَفسي واقفةٌ في حضرتِهِ، إني رجلٌ كسائرِ الناسِ، على أني وإنْ أقامني اللهُ نبيًّا على بيتِ إسرائيلَ لأجلِ صحَّةِ الضعفاءِ وإصلاحِ الخُطاةِ، خادمُ اللهِ..».

- وفي الفصلِ الثالثِ والخمسينَ، نصٌّ يَلْعنُ فيه المسيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كلَّ من دعاه ابناً للهِ تعالى: «ولمَّا رفعَ رأسَه قالَ: ليكنْ ملْعوناً كلُّ مَن يُدْرِجُ في أقوالي أني ابنُ اللهِ»[1].

- وفي الفصلِ الثالثِ والتسعينَ، وردَ نصٌّ للمسيحِ يتبرأُ فيه من كلِّ من يُخرجه عن طبيعتهِ البشريةِ؛ حيث قالَ لمن دعاه: إلهاً، أو ابنَ إلهٍ، أو روحاً للقُدُسِ:

«أشهدُ أمامَ السَّماءِ، وأُشْهِدُ كلَّ شيءٍ على الأرضِ، أني بريءٌ من كلِّ ما قد قُلْتم؛ لأني إنسانٌ مولودٌ من امرأةٍ فانيةٍ بشريةٍ، وعُرْضةٌ لحُكمِ اللهِ، مُكابِدٌ شقاءَ الأكلِ والمنامِ وشقاءَ البردِ والحرِّ كسائرِ البشرِ..»[2]. ونحو ذلك من النصوصِ الكثيرةِ التي وردت فيه حولَ هذا المعنى[3].

- **ثانياً**: التبشيرُ بالنبيِّ محمدٍ ﷺ، وبِقُرْبِ قُدومِهِ، والتأكيدُ على أنه رسولٌ للعالمينَ وخاتمُ للأنبياءِ والمرسلينَ[4]:

---

(١) الفصل السادس والعشرون ص٧٠، والثالث والخمسون ص١٠٧.

(٢) الفصل الثالث والتسعون (أ) ص١٥٤، وانظر: الفصل الرابع والتسعين (أ) ص١٥٥.

(٣) راجع على سبيل المثال: الفصل السادس والعشرين بعد المائة، والفصل الثاني عشر بعد المائتين، والفصل العشرين بعد المائتين.

(٤) التبشير برسالة محمد ﷺ امتلأت بها صفحات إنجيل برنابا، في الفصول: الرابع والأربعين، =

- فقد جاءُ في الفصلِ الحادي والأربعينَ نصٌّ يُصرِّحُ باسم محمدٍ ﷺ:

«فلما التفت آدمُ رأى مكتوباً فوقَ البابِ "لا إله إلاَّ اللهُ، محمدٌ رسولُ اللهِ"، فبكى عند ذلك وقالَ: "أيها الابنُ، عَسى اللهُ أن يُريدَ أن تأتي سريعاً، وتخلِّصنا من هذا الشقاءِ"».

- وفي الفصلِ الثالثِ والأربعينَ، ما نصُّهُ: «الحقَّ أقولُ لكم: إنَّ كلَّ نبيٍّ متى جاءَ فإنه يحملُ لأمةٍ واحدةٍ فقط علامةَ رحمةِ اللهِ، ولذلك لم يتجاوزْ كلامُهم الشعبَ الذي أُرسِلوا إليه، ولكنَّ رسولَ اللهِ متى جاءَ يُعطيه اللهُ ما هو بمثابةِ خاتم يدهِ: فيحملُ خلاصاً ورحمةً لأممِ الأرضِ الذين يقبلونَ تعليمَه، وسيأتي بقوَّةٍ على الظالمينَ، ويُبيدُ عبادةَ الأصنامِ؛ بحيث يُخزي الشيطانَ؛ لأنه هكذا وعدَ اللهُ إبراهيمَ قائلاً: "انظر فإني بنسلِكَ أُبارك كلَّ قبائلِ الأرضِ، وكما حطَّمتَ يا إبراهيمُ الأصنامَ تحطيماً، هكذا سيفعلُ نَسْلُكَ"».

- **ثالثاً**: الإشارةُ إلى أنَّ الذبيحَ الذي أمرَ اللهُ تعالى نبيَّه إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بذبحهِ، هو إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وليس إسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ تصديقاً للقرآنِ الكريمِ:

- فقد جاءَ في الفصلِ الثالث عشرَ من إنجيلِ برنابا، ما نصُّه:

«فأجابَ الملاكُ جبريلُ: انْهض يا يسوع، واذكر إبراهيمَ الذي كان يُريد

=

والرابع والخمسين، والثاني والسبعين، والسابع والتسعين، والسادس والثلاثين بعد المائة، والحادي والتسعين بعد المائة، والثالث والتسعين بعد المائة، والعشرين بعد المائتين.

أن يُقدِّمَ ابنَه الوحيدَ (إسماعيلَ) ذبيحةً للهِ ليتمَّ كلماتِ اللهِ، فلمَّا لم تقو المدْيةُ على ذبحِ ابنِه، قدَّمَ عملاً بكلمتي كَبشًا..»[١].

- وجاءَ في الفصلِ الرابعِ والأربعينَ، ما نصُّه: «..حينئذٍ قالَ التلاميذُ: يا معلِّم! هكذا كُتِبَ في كتابِ موسى أنَّ العهدَ صنعَ بإسحاقَ. أجابَ يسوعُ متأوِّهًا: هذا هو المكتوبُ ولكنَّ موسى لم يكتبه، ولا يشوع، بل أحبارُنا الذين لا يخافونَ اللهَ. الحقَّ أقولُ لكم: إنكم إذا أعملتم النظرَ في كلامِ الملاكِ جبريلَ، تعلمونَ خُبثَ كَتبتِنا وفقهائِنا؛ لأنَّ الملاكَ قالَ: "يا إبراهيمُ سيعلمُ العالمُ كلُّه أن كيف يُحبُّكَ اللهُ، ولكن كيف يعلمُ العالمُ محبَّتَكَ للهِ حقًّا، يجبُ عليك أن تفعلَ شيئًا لأجلِ محبَّةِ اللهِ". أجابَ إبراهيمُ: "ها هو ذا عبدُ اللهِ مُستعِدٌّ أن يفعلَ كلَّ ما يُرِيدُ اللهُ"، فكلَّمَ اللهُ حينئذٍ إبراهيمَ قائلاً: "خذ ابنكَ بِكْرَك إسماعيلَ واصعد الجبلَ لتقدِّمه ذبيحةً"..»[٢].

- وفي الفصلِ الثاني والأربعينَ بعدَ المائةِ، ما ينُصُّ صراحةً على أنَّ خاتمَ الأنبياءِ والمرسلينَ محمداً ﷺ، سيكونُ من نسلِ إسماعيلَ الذبيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وليس من نسلِ إسحاقَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

«وأنْكى من ذلك أنه -أي المسيحُ- يقولُ: إنَّ مُسيا (محمد) لا يأتي من نسلِ داودَ، كما قالَ لنا أحدُ تلاميذِهِ الأخصاء، بل يقولُ: إنه يأتي من نسلِ إسماعيلَ، وأنَّ الموعدَ صنعَ بإسماعيلَ لا بإسحقَ..»[٣].

(١) برنابا ص٥١.

(٢) برنابا ص٩٥.

(٣) برنابا ص٢١٦.

- **رابعـًا**: التأكيدُ على أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يُقتل، ولم يُصلب، وإنما الذي قُتِلَ وشُبِّه لهم هو (يهوذا الإسخريوطي) - الخائنُ- أحدُ حواريِّي المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- فقد جاءَ في الفصلِ التاسعِ والثلاثينَ بعد المائةِ، قولُه عن اليهودِ: «فَسيقومُ على رؤساءِ الكهنةِ وشيوخِ الشعبِ، وسيطلبونَ من الحاكمِ الرومانيّ قتلي؛ لأنهم يخافونَ أن أغتصِبَ مُلْكَ إسرائيلَ، وعلاوةً على ذلك فإنَّ واحداً من تلاميذي يبيعُني ويُسْلِمُني كما بِيعَ يوسفُ إلى مِصرَ، ولكنَّ اللهَ العادِلَ سيوثقُه؛ كما يقولُ النبيُّ داود: "مَن نصبَ فَخًّا لأخيهِ وقعَ فيه"، ولكنَّ اللهَ سيُخلِّصنُي من أيديهم، وسينقلُني من العالمِ»[1].

- وفي الفصلِ الخامس عشرَ بعد المائتينِ: «ولمَّا دَنت الجنودُ مع يهوذا من المحلِّ الذي كان فيه يسوعُ، سمعَ يسوعُ دُنوَّ جمٍّ غفيرٍ، فلذلك انسحبَ إلى البيتِ خائفًا، وكان الأحدَ عشرَ نيامًا، فلمَّا رأى اللهُ الخطرَ على عبدِهِ أمرَ جبريلَ وميخائيلَ ورفائيلَ وأوريل سُفرَاءَه أن يأخذوا يسوعَ من العالمِ»[2].

- وكذلك جاءَ في الفصلِ الحادي والعشرينَ بعدَ المائتينِ على لسانِ يسوع، ما ينصُّ صراحةً على أنه لم يَمت على أيدي اليهودِ كما أُشِيعَ: «الحقَّ أقولُ لكم: إني لم أمت، بل يهوذا الخائن، احذروا؛ لأنَّ الشيطانَ سيُحاول

(١) برنابا ص٢١٢، ٢١٣.

(٢) برنابا ص٢٨٨.

جهدَه أن يخدعَكم»(١)، وغير ذلك.

- **ثانيًا: آباء ما قبل مجمع نيقية:**

وهم رِجالٌ كُثُرٌ ومعروفونَ، جاؤوا بعدَ الآباءِ الرسلِ الأوائلِ، ابتداءً مِن القدِّيسينَ: إيرانيوس، وترتليان، وأوريجن، ولوسيان، وغيرِهم، وصولاً إلى القدِّيسِ بولس السيمساطي، وانتهاءً بالقدِّيسِ آريوس السكندريِّ؛ ونختارُ منهم:

١- القدِّيس إيرانيوس (*St Irenee*) أُسقف مدينةِ ليون: وهو أحدُ علماءِ القرْنِ الثاني للميلادِ، الذي قُتِلَ عام ٢٠٠م لتبنِّيهِ قضيَّةَ المسيحيينَ الذين اضطُهِدوا نتيجةَ عدمِ إيمانِهم بمذهبِ الكنيسةِ البولسيةِ، ومعارضتِهم لسلْطةِ البابا آنذاك.

وللقدِّيسِ إيرانيوس كتابٌ بعنوان: «ضد الهرطقة»؛ ذكرَ فيه أنَّ (يَهوذا الإسخريوطي) كان يَعرِفُ الحقيقةَ كما لم يعرفها أحدٌ غيرهُ؛ الأمر الذي جعلَ البعضَ يَتّهِمُ القدِّيسَ إيرانيوس بأنه يُبرِّئُ يَهوذا من تهمةِ الخيانةِ للمسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ تلك التهمةُ التي رَوَّجت لها الكنيسةُ البولسيةُ لأكثرَ من ألفيْ عامٍ(٢).

---

(١) برنابا ص٢٩٧.

(٢) جوان فرشخ بجالي: تحقيق بعنوان (من يصدق إنجيل يهوذا؟)، مقال منشور في جريدة الأخبار اللبنانية في صفحة تراث وآثار، العدد رقم ٥٤٤ بتاريخ السبت ٧حزيران عام ٢٠٠٨م.

ولقد آمنَ إيرانيوس بإلهٍ واحدٍ، وأيَّدَ مبدأَ بشريةِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وانتقدَ بِشدَّةٍ شاؤولَ الطرسوسي -أو بولسَ الرسولَ (*The Apostle Paul*)- واعتبرَه مسؤولاً عن إدخالِ مذاهبِ الدياناتِ الوثنيةِ والفلسفةِ الأفلاطونيةِ إلى المسيحيةِ(١).

هذا، وقد تناولَ إيرانيوس في كتاباتهِ ورسائِلهِ قضيةَ خلْقِ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من دونِ أبٍ ولا أمٍّ ويُسميه المسيحَ الأولَ، وخلْقِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أمٍّ فقط ويُطلق عليه آدمَ الآخرَ، بل وعقدَ بينهما مقارنةً قريبةً مما وردَ في القرآنِ الكريمِ.

لكنه مع ذلك لم يكن -في نظرِ كثيرٍ من مُؤرِّخي المسيحيةِ- لاهوتيًّا خَلاَّقًا، أو على الأقلِ لم يكن مُجدِّداً ومُبدِعًا لأفكارٍ جديدةٍ، وإنما فقط استطاعَ المحافظةَ على ما ورثه من إيمانٍ صحيحٍ استلمه من الرسلِ الأوائلِ(٢).

٢- القدِّيس ترتليان ت ٢٢٠م، أو (ترتوليانوس)، أو باللاتينية (*Tertullianus*):

وهو أحدُ المـُدافعينَ الأوائلَ من المسيحيينَ، وأَوَّلُ مَن كتبَ كتاباتٍ

(١) انظر كتاب: عيسى والتوحيد ص٧٩، ٨٠.

(٢) راجع د. القس حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي - يسوع المسيح عبر الأجيال - المجلد الأول - جـ٣: ٤٤٢، ط١ سنة ١٩٨١م دار الثقافة، ودار الطباعة القومية بالفجالة.

مسيحيةً باللغةِ اللاتينيةِ.

وربّما اشتُهِرَ بهذا الاسمِ (ترتليان)؛ نظراً لصياغتِهِ للثالوثِ المسيحيِّ - والذي يُسمى باللاتينية: (*Trinitas*)- صياغةً جديدةً بعيدةً عن معناه الوثني[١].

والقدِّيسُ ترتليان هو قرطاجيُّ الموطنِ يَتبعُ الكنيسةَ الإفريقيةَ، كان يُؤمِنُ بوحدانيةِ اللهِ، وكان يُطلِقُ على المسيحِ: مسيا[٢] اليهوديّ (*The Jewish Messiah*). ومن أقوالهِ: «إنَّ العامَّةَ تعتقِدُ أنَّ المسيحَ رجلٌ، وليسَ إله»[٣].

لكنَّ الكُتَّابَ المسيحيينَ لا يُشيرونَ إلى ذلك التحوَّلِ في حياةِ ترتليانَ، وإنما فقط يُعلِّلونَ ابتعادَه عن الكنيسةِ بأنه مرَّ بأزمةٍ معها خلالَ الأعوامِ (٢٠٣- ٢١٢م)؛ ابتعدَ على إثرِها شيئًا فشيئًا عن الكنيسةِ.

وبالطبعِ لا يتطرَّقونَ لذكرِ تفاصيلِ تلك الأزمةِ، وإنما فقط يذكرونَ أنَّ أفكارَه اتجهت نحو المونتانية (*Montanism*) -نِسبةً إلى مؤسسها

(١) راجع موسوعة المعرفة، على الرابط التالي:
http://www.marefa.org/index.php.

(٢) جاء في صفحة ٨٩٠ من قاموس الكتاب المقدس: «مِسِّيًّا: هي الصيغة العربية للكلمة اليونانية مِسِّيَّاس، المأخوذة من الكلمة الآرامية ماشاخا (Mashach) التي تعنى مسيح».
- وقد ذكرها إنجيل يوحنا ١: ٤٢، ٤: ٥٢.

(٣) انظر كتاب: عيسى والتوحيد ص٨٠.

مونتانيوس الذي انشقَّ عن الكنيسةِ- ذاتِ الصِّبغةِ التوحيديةِ، والتي تَترقَّبُ قدومَ مَسيحِ آخرِ الزمانِ!

٣- القدِّيس بولس السيمساطي أو السمسطائي *Paul Samosata* ت٢٦٨م، أُسقف كنيسةِ أنطاكية -كُبرى كنائسِ الشرْقِ في وقتهِ - ومؤسِّس الفرقةِ البوليانيةِ:

كان واحداً من أهمِّ المهرطقينَ[١] العقلانيينَ الذينَ أنكروا التثليثَ؛ حيث نادى بوحدانيةِ اللهِ، وبشريةِ المسيحِ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، وقال: «إنَّ يسوعَ ليس سوى إنسانٍ لم يعرف الخطيئةَ منذ ولادتهِ؛ أي منذ أن تَمَّت معجزةُ اتحادِ الكلمةِ بالمسيحِ واستقرارِها فيه»[٢]. والمسيحُ في نظرِ بولس هذا، ينفردُ بالحِكمةِ التي هي صِفةٌ من صفاتِ اللهِ.

هذا، ويكفينا في هذا الصَّددِ ما أورده كتابُ (تاريخُ الكنيسة)[٣] -الذي

(١) الهرطقة (heresy) أو (heterodoxy): هي المروق أو الابتداع في الدين. وأصل الكلمة اليوناني بمعنى: الاختيار أو الخروج على مجموعة الأفكار الدينية التي يؤمن بها السواد الأعظم من الناس في مجتمع معين وزمن معلوم. والشخص الهرطوقي هو المبتدع أو المخالف للتعاليم الكنسية أيًّا كانت.

- راجع: قاموس الجيب للمصطلحات الدينية - مادة هرطقة - تأليف ونشر: شماس إكليريكي/ حشمت كمال، ط عام ١٩٩٩م، القاهرة.

(٢) انظر: الهرطقة في الغرب ص٦٢ (سابق).

(٣) راجع يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة ص٣٧٩ وما بعدها، تعريب القمص: مرقس داود، ط سنة ١٩٧٩م القاهرة الحديثة للطباعة - أحمد بهي الدين الخربوطلي - بالفجالة، القاهرة.

أَلَّفَه يوسابيوس القيصري ت٣٤٠م؛ وهو مؤرِّخٌ عاشَ في العصورِ الأولى للكنيسةِ- عن عقيدةِ (بولس) وما كان لمذهبِهِ من صدىً واسعٍ لدى الأوساطِ الدينيةِ آنذاك.

فقد أوردَ الكتابُ عن بولس السيمساطي، أنه كان يَعتبرُ أنَّ المسيحَ مجرَّدُ إنسانٍ وُلِدَ كما يولَدُ الإنسانُ من أسفلَ -كما ذكرَ المؤلفُ- أي أنَّ مولدَه بدأَ من مريمَ.

ومن ثمَّ رفضَ الاعترافَ بأنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نزلَ من السَّماءِ، أو أنَّ له وجوداً أزليًّا. كما أنكرَ الكلمةَ (بمعنى اللوجوس[١] *Logos*) التي وردت في إنجيل يوحنا؛ من حيثُ إنَّ لها كياناً مُستقلاً، أو إنَها الإلهُ مُتجسِّداً في شخصٍ يسوع المولودِ من مريمَ.

وبالإضافةِ إلى ما ذكره (يوسابيوس) عن عقيدةِ بولس؛ فقد ذكرَ أيضاً (ساويرس بن المقفع) [ت٩٨٧م] -أسقفُ الأشمونين- أنَّ بولس السيمساطي كان يُنكِرُ القولَ بالبنوَّةِ والتجسُّدِ، ولا يَعترِفُ بأنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نزلَ من السَّماءِ[٢].

---

(١) اللوجوس: من أشد الكلمات أهمية وأكثرها غموضاً، سواء في الفكر الديني أو في الفكر الفلسفي، فلها مدلولات مختلفة عند الفريقين، وبعض الفلاسفة والدينيين وجدوا فيها وسيلة لتفسير الاتفاق بين الفلسفة اليونانية والعقيدة المسيحية. راجع تعريف اللوجوس: http://arz.wikipedia.org.

(٢) انظر: تاريخ مصر من بدايات القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن العشرين، من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة ١: ٢٧٢ وما بعدها، إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين، =

٤- وأخيراً، القدِّيس أريوس السَّكندري ت٣٣٦م، مؤسِّس الفرقةِ الآريوسيةِ: الذي يُعتبَرُ أشهرَ دعاةِ التوحيدِ المُجرَّدِ في تاريخ الديانةِ المسيحيةِ، وأكبرَ ناقدٍ وعالمٍ بالكنيسةِ البولسيةِ؛ ذلك الأُسقفُ الذي يُعَدُّ من وجهةِ النظرِ الأرثوذكسيةِ هرطقيًّا أو زنديقًا، شكَّلَ خطراً كبيراً على المسيحيةِ طوالَ القرونِ العشرةِ الأولى من تاريخِ الديانةِ.

كان القدِّيسُ آريوس قِسِّيساً بالإسكندريةِ يومَ أعلنَ في إحدى مواعظهِ أنَّ كلمةَ اللهِ مخلوقةٌ ومُباينةٌ بالجوهرِ لذاتِ اللهِ؛ لأنَها عبارةٌ عن العقلِ الذي هو (المعلول) الأولُ، وهو أولُ ما خلقَ الله[(١)].

إذن فخِلافُه مع الكنيسةِ، كان قائِماً على أُطروحةٍ واحدةٍ: هي أنَّ يسوعَ المسيحَ كائنٌ بشريٌّ فانٍ، مُعلَّمٌ يُوحَى إليه، وليس إلهيًّا بأي معنى من المعاني[(٢)].

وبالرغمِ من أنَّ نشأته ليست معلومةً للباحثينَ بالقدْرِ الكافي، إلّا أنَّ الثابتَ لدى كثير من المؤرخين أنه ترأَسَ كنيسةَ بوكاليس (*Baucalis*) في

=

ط١ سنة ٢٠٠٦م مكتبة مدبولي بالقاهرة.

- وراجع د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١: ١٢٠، ط سنة ١٩٨٨م، المكتبة البولسية، بيروت لبنان.

(١) انظر ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٨٠، ط سنة ١٩٥١م، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

(٢) راجع مقالة بعنوان «الآريوسيون»، في ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) على الرابط التالي: http://ar.m.wikipedia.org/wiki.

الإسكندريةِ عام ٣١٨م؛ التي كانت من أقدمِ وأهمِّ الكنائسِ في المدينةِ[1].

والحقُّ أنَّ قِصَّةَ حياةِ القدِّيسِ آريوس، تتداخلُ مع قِصَّةِ حياةِ الإمبراطورِ الروماني قسطنطين؛ لدرجةِ أنه يَصْعُبُ علينا فهمُ الأولى دونَ معرفةِ الأخرى.

ولن تُفيدنا معرفةُ تفاصيلِ حياةِ الإمبراطورِ قسطنطينَ، وما إذا كان قد دخل في المسيحيةَ -كما يُشاع- أو لا.

لكنَّ الذي يَهمُّنا بالدرجةِ الأولى، هو معرفةُ: أنَّ الصِّراعَ الديني في عهدِهِ كان قد احتدمَ بين أتباعِ الكنيسةِ الرَّسوليةِ التي استمرَّت في الإيمانِ بإلهٍ واحدٍ، وبين أتباعِ الكنيسةِ البولسيةِ التي دعت إلى التثليثِ والتجسُّدِ والفِداءِ ونحو ذلك من العقائدِ، أو البدعِ التي أدخلها بولس الطرسوسيُّ على المسيحيةِ الأولى.

هذا الصِّراعُ الذي بدأ قبلَ مجيءِ الإمبراطورِ قسطنطين، واستمرَّ مدّةً من حكمِهِ، كادَ يُهدِّدُ أركانَ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ الوثنيةِ، التي انتشرت فيها مسيحيةُ بولس بشكلٍ كبيرٍ، لولا أن ارتأى الإمبراطورُ جمعَ الناسِ تحتَ لافتةٍ واحدةٍ، أو مُسمَّىً دينيٍّ واحدٍ؛ فأعلنَ دخوله في المسيحيةِ بشكلِها الوثني، وبدأَ بعمليةِ تَسويقٍ لِفكْرَةِ إجبارِ غيرِه على الدخول في مُعتقدِهِ الجديدِ!

ونتيجةً لذلك، أمرَ في عام ٣١٨م بقتلِ الأساقفةِ الذينَ لا يُقرِّونَ بذلك

---

(١) راجع كتاب: عيسى المسيح والتوحيد ص٨٥.

المعتقدِ الجديدِ، ومطاردةِ الذينَ يختلفونَ مع تعاليمِ مسيحيةِ روما التي يُريد قسطنطين أن ينشرَها في العالمِ.

وفي عامِ ٣٢٥م، عُقِدَ أوَّلُ مجمعٍ كنسيٍّ في مدينةِ نيقيةَ[١]، بأمرٍ من الإمبراطورِ قسطنطين نفسهِ الذي ترأَسَ جلساتِه؛ من أجلِ فرْضِ عقيدةِ (أثناسيوس) الرومانيةِ -وهي العقيدةُ الكاثوليكيةُ كما تقرَّرت فيما بعد- وسحقِ كلِّ مَن يُعارِضُها[٢].

أما آريوس، فكلُّ ما نَعرفه عن حياتهِ الأولى أنه من أصلٍ ليبيٍّ أو بربريٍّ، درسَ اللاهوتَ في مدرسةِ أنطاكيا على يدِ المعلِّمِ (لوقيانوس)، ثم جاءَ إلى الإسكندريةِ ورُسِّمَ أُسقفًا لكنيسةِ بوكاليس، كما ذكرنا من قبل.

وقد أجمعَ الكُتَّابُ على أنَّ القدِّيسَ آريوس، كان عالمًا ومُثقفًا كبيراً وواعظًا وزاهداً مُتقشِّفًا، استطاعَ أن يجذِبَ حولَه جماعةً من أهلِ الإسكندريةِ -وخاصةً من الرُّهبانِ والرَّاهباتِ- الذين وجدوا في أسلوبهِ الوعظيِّ والتعليميِّ، تجديداً وابتكاراً يختلفُ عن العِظاتِ التي تعوَّدوا سماعَها.

---

(١) نيقية: مدينة إغريقية قديمة، تقع على الساحل الغربي للأناضول على بحر مرمرة، وقد اختارها الإمبراطور مقراً للمجمع لكونها ميناءً يسهل الوصول إليه، ولقربها من عاصمة الإمبراطورية الشرقية (نيقوميديا) في آسيا الصغرى. راجع في تعريف مدينة نيقية: *http://ar.wikipedia.org*.

(٢) راجع ابن قرناس: مسيحية بولس وقسطنطين ص١٤٥، ط١ سنة ٢٠٠٨م، منشورات الجمل، بغداد.

هذا، ولقد هاجمَ القدِّيسُ آريوس عقيدةَ أزليةِ الابنِ وانبثاقِ جوهرِهِ من الآبِ، وكان من جملةِ تعاليمِهِ الداعيةِ إلى التوحيدِ، أو الخارجةِ عن تعاليمِ الكنيسةِ البولسيةِ؛ ما يلي:

١ - أنَّ اللهَ هو إلهٌ واحدٌ غيرُ مولودٍ، أزليٌّ. أمَّا الابنُ فهو ليس أزليًّا؛ إذ إنه وُجِدَ وقتٌ لم يكنِ الابنُ موجوداً فيه.

٢ - أنَّ الابنَ غير الأزليِّ وغير المنبثقِ من جوهرِ الآبِ، قد خرجَ من العدَمِ مثل كلِّ الخلائقِ الأخرى، بحسبِ قصْدِ اللهِ ومشيئتِهِ.

٣- أنَّ المسيحَ الذي يَعبدُه المسيحيونَ، ليس إلهًا، ولا يمتلِكُ الصفاتِ الإلهيَّةَ المُطلَقةَ من العلمِ المحيطِ والقدْرةِ النافذةِ ونحو ذلك.

٤ - أنَّ اللهَ خلقَ الكلمةَ (الابن) لأجلنا؛ لأنه عندما أرادَ أن يخلقنا، خلقَ كائنًا يُدعى الكلمةَ أو الحِكمةَ؛ لكي نكونَ على صورتِهِ، فلو أرادَ ألاَّ يخلقنا، لأصبحَ وجودُ الابنِ مُستحيلاً.

فالابنُ مخلوقٌ مثل كلِّ الخلائقِ، مُتغيِّرٌ، غيرُ أزليٍّ، ليس كليَّ العلْمِ، ولقد كان حُرَّاً في أن يَظلَّ صالِحًا كما خَرَجَ من بينِ يدي اللهِ، أو أن يَرْتدَّ إلى الشرِّ مثل الشَّيطانِ، غيرَ أنَّ اللهَ قد سبقَ وقرَّرَ بأن يَسْلُكَ الابن في طريقِ الصَّلاحِ(١).

وكان من نتيجةِ ذلك، أن وقعَ نزاعٌ كبيرٌ بين الآريوسيينَ وبين الكنيسةِ البولسيةِ آنذاك بقيادةِ الأسقفِ (ألكسندروس)، الذي شغَلَ كرسيَّ

(١) انظر القس حنا جرجس الخضري: تاريخ الكنيسة ٤: ٦٢٠ (سابق).

البطريركيةِ عام ٣١٣م، بعدَ إعلانِ الإمبراطورِ قسطنطينَ منشورَ التسامحِ الدينيِّ المعروفِ بـ(منشور ميلان).

وقد كانَ النزاعُ على أشُدِّهِ بين آريوس وألكسندروس، لدرجةِ أنَّ الأخيرَ جرَّدَ آريوس من وظيفتهِ الكنسيةِ، وطرَدَه من الكنيسةِ، ورفضَ استقبالَه أو الحديثَ إليه، حتى يعترفَ بخطيئتهِ ويُقرّ بذنبهِ ويُلِحّ في التوبةِ والضراعةِ من قولتهِ الشنيعة! التي ذكرَها في خُطبتهِ بحضْرةِ البطريَركِ على مسمعٍ من جميعِ الحاضرينَ؛ وهي: «إنَّ ابنَ اللهِ كانَ بعدَ أن لم يكن».

فتبادرَ لذهنِ البطريركِ في باديءِ الأمرِ، أنه يَقصدُ بهذا القولِ عن المسيحِ بالنسبةِ إلى ناسوتهِ المأخوذِ من العذراءِ! لكن تبيَّنَ له أنَّ معنى العبارةِ قد تردَّدَ كثيراً على لسانِ آريوس؛ مما جعلَ البطريركَ يرميه بالتجديفِ، ويُصدِرُ قراراً بحرمانهِ وقطعهِ من شركةِ الكنيسةِ، ويوقِّعُ على ذلك القرارِ هو ومَن كان معه من الأساقفةِ[1]!

(١) راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص١٣٧ (سابق).

المبحث الثاني

تأثير المجامع المسكونية في تقرير عقائد المسيحية

لمَّا أخذت كنيسةُ روما في عَهدِ قسطنطينَ صفةَ (الكاثوليكية)(١) -التي

---

(١) كلمة كاثوليك تعني: (الجامعة). والكاثوليكيون: هم أتباع الكنيسة الكاثوليكية التي مقرها الفاتيكان في روما، وهي أكبر الكنائس المسيحية، وأكثرها أتباعًا، ويترأسها (البابا) أسقف روما.

- وكلمة أورثوذكس تعني باليونانية: الرأي القويم، والإيمان المستقيم. والأرثوذكسيون: هم المسيحيون الشرقيون الذين انشقوا عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية عام ١٠٥٤م، وكونوا كنيسة مستقلة في القسطنطينية عرفت باسم الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية.

- أما الأقباط أو القِبط، فهم أكبر طائفة مسيحية في العالم العربي، ويتبعون كنيسة الإسكندرية التي انفصلت عن سائر الكنائس المسيحية منذ وقت مبكر، إثر مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م، بسبب الخلاف حول طبيعة المسيح.

- وكلمة (قبط) هي تعريب للكلمة القبطية كِپْتياس، من اليونانية التي تعني مصري؛ من الاسم اليوناني لمصر. وكلمة قبط (*Gupt Gypt*) أطلقتها المدن اليونانية على الجالية المقدونية التي أرسلتها لتحكم مصر، ويقال أيضًا: إن كلمة قبط اشتقت من اسم الملك البطلمي أقبتوس (*Agyptius*) والذي يعرف أيضًا ببطليموس الثاني (*Potlomy II*)، وتم إطلاقها على سلالته تمييزاً لها من المصريين، وبعد ذلك تم إطلاقها على جميع يونانيين الأصل تمييزاً لهم من المصريين الأصليين.

- والبروتستانت: اسم يطلق على مجموعة الكنائس الغربية المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية، نتيجة لحركة الإصلاح التي تزعمها (لوثر) و(كالفن) في ألمانيا، وقد انشقت الكنيسة البروتستانتية عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر، وتفرع منها العديد من الكنائس الأخرى، ومعنى كلمة (بروتستانت): المحتجون.

راجع: http://wateroflife.ahlamontada.net/t912-topic.

تَعني عالميةَ عبادةِ اللهِ[١]- وتضامنت أكثرَ فأكثرَ مع الحُكَّامِ الوثنيينَ وجنودِهم، وأُطلِقَ وقتَها على الكاثوليكيينَ وصفُ (المنشقِّينَ)، وأضحتِ الكاثوليكيةُ آنذاك مرادِفةً للوثنيةِ[٢].

عندئذٍ قامت عِدَّةُ حركاتٍ مُناوئةٍ لاتجاهِ الكاثوليكيةِ الوثنيِّ، لعلَّ أهمَّها هي الحركةُ الآريوسيةُ بما أحدثته من تصدُّعاتٍ في بنيةِ الفكرِ الكاثوليكيِّ - كما ذكرنا من قبل- مما عرَّضَ مستقبلَ الدولةِ الرومانيةِ لخطرِ الانقسامِ الطائفيِّ؛ ذلك أنَّ مستقبلَ الكنيسةِ في تلك المرحلةِ، كان يَدورُ حولَ ثلاثِ كلماتٍ خاصَّةٍ بطبيعةِ المسيحِ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ وعلاقتهِ باللهِ تعالى، احتدمَ حولَها الخِلافُ، وحَمِيَ وطيسُ النِقاشِ والجِدالِ بشأنِها؛ وهذه الكلماتُ الثلاثُ هي:

١- (*heteroousion*) التي تُعبِّرُ عن الموقفِ الآريوسيِّ؛ المؤمن بأنَّ جوهرَ الآبِ يختلِفُ عن جوهرِ الابنِ.

٢- (*homoiousion*) التي تُعبِّرُ عن الموقفِ شِبه الآريوسيِّ؛ الذي يؤمِنُ بأنَّ جوهرَ الابنِ يُشبه أو يُماثِلُ جوهرَ الابنِ، ولكنه لا يتطابقُ معه.

٣- (*homoosiom*) التي تُعبِّرُ عن الإيمانِ بتطابقِ جوهرِ الابنِ مع جوهرِ الآبِ.

هذه الفروقُ، التي كادت تعصِفُ بالكنيسةِ رغمَ شِدَّةِ دِقَّتِها -كما يذكرُ

---

(١) انظر: عيسى المسيح والتوحيد ص٩١.

(٢) السابق، نفس الصفحة.

د.رمسيس عوض[١]- تعتمِدُ على خِلافٍ قد يبدو يسيرًا للغايةِ في حروفِ هِجاء هذه الكلماتِ الثلاثِ!

ومِن هنا، أدركَ قسطنطين بذكائهِ وفطنتهِ السِّياسيةِ خطورةَ ذلك الأمرِ على إمبراطوريتهِ، وفكَّرَ في أنَّ توحيدَ الكنيسةِ على رأيٍ واحدٍ يجعلُها أداةً طيِّعَةً في يدهِ، خاصَّةً عندما يكونُ مركزُها في روما وليس في أورشليمَ.

ولمَّا رفضَ أعضاءُ الكنيسةِ الرَّسوليةِ أن يتوافقوا مع هذه الرغباتِ، حاولَ قسطنطينُ إجبارَهم على الاتزام بمذهبِ بولس الطرسوسيّ بالقوَّةِ؛ مما تسبَّبَ ذلك في إشعالِ الثوراتِ المتتاليةِ التي كان أولُها ثورةَ البربرِ عام ٣١٦م -وكانت عقيدتُهم هي الإيمان بوحدانيةِ اللهِ تعالى ونبوَّةِ المسيح[٢]- في شمالِ إفريقيا، بقيادةِ رجلٍ يُدعى دوناتس (*Donatus*) أُسقفُ قرطاجنة [ت ٣٥٥م]، مروراً بثوراتِ آريوس، والآريوسيةِ فيما بعد؛ الأمر الذي مهَّدَ لإعلانِ بعضِ المراسيمِ التي لها طابعٌ سياسيٌّ وتدعو للتسامحِ الدينيِّ. كما مهَّدَ لعقدِ عدَّةِ مجامعَ مسكونيةٍ عالميةٍ، تدعو إلى توحيدِ كلمةِ جميعِ الكنائسِ على مذهبٍ واحدٍ؛ لمحاولةِ رأبِ الصَّدْعِ، وترميمِ التصدُّعاتِ التي أصابت الإمبراطوريةَ الرومانيةَ وعرَّضتها لخطرِ الانقسامِ والتشرْذمِ!

- **منشور ميلان للتسامح الديني:**

في عام ٣١٣م أصدرَ قسطنطينُ منشوراً للتسامحِ الدينيِّ وحرِّيةِ الاعتقادِ،

---

(١) الهرطقة في الغرب ص٧٣ (سابق).

(٢) عيسى المسيح والتوحيد ص٨٧.

واعترفَ فيه بالمسيحيةِ كدِيانةٍ من الدياناتِ الرسميةِ للإمبراطوريةِ الرومانيةِ، بالإضافةِ لليهوديةِ. وقد نَعِمت الكنيسةُ بجوٍ من الحريةِ في ظلِّ هذا المرسومِ؛ مما ساعدَها على الانتشارِ والتمدُّدِ في العالمِ كلِّهِ، وخاصَّةً عندما أمرَ بهدْمِ المعابدِ الوثنيةِ وتشييدِ الكنائسِ مكانَها، بل وعندما أمرَ أيضًا بأن يُعادَ إلى المسيحيينَ ما انتُزِعَ من أملاكِهم في أثناءِ اضطهادِهم -من القرْنِ الأولِ وحتى القرْنِ الرابعِ - على يدِ الرُّومانِ الذين كانوا يسيطرونَ على معظمِ البلادِ التي انتشرت فيها المسيحيةُ[1].

وبصدورِ هذا المرسومِ، دخلت المسيحيةُ مرحلةً من الانفتاحِ على العالمِ، بعدما أُزيلت من أمامِها العقباتُ، وأضحى قسطنطينُ يَنظرُ إليها على أنَها الدِيانةُ التي يمكنُ أن تجمعَ طوائفَ الإمبراطوريةِ كلَّها، بعدَ إجراءِ عِدَّةِ تعديلاتٍ عليها تُغري الوثنيينَ والطوائفَ الأخرى بقبولِها؛ فأعلنَ في أعقابِ ذلك أنَّ المسيحيةَ هي الدينُ الرسميُّ للإمبراطوريةِ الرومانيةِ.

فقامت الكنائسُ الكُبرى بمهمَّةِ الدولةِ؛ مثل كنيسةِ القيامةِ في القدسِ، وكنيسةِ القدِّيس سمعان العموديّ بالقُرْبِ من حلَب، وكنيسةِ آيا صوفيا في القسطنطينيةِ[2].

ومن ثمَّ تحددت العقيدةُ رسميًّا فيما يخصُّ سرَّ الثالوثِ الأقدسِ والتجسُّدِ ونحو ذلك في المجامعِ المسكونيةِ التي عُقِدت لهذا الأمرِ، والتي

---

(١) راجع: قصة الحضارة ١١: ٣٨٥.

(٢) راجع: *http://ar.wikipedia.org/wiki*.

كـان لهـا دورٌ كبيرٌ في رسـمِ مـلاحِ الديانـةِ الجديـدةِ وتحديـدِ شـكلِ العقيـدةِ الرسميةِ؛ كما يلي:

- **مجمع نيقية المسكوني الأول:**

ذكرنا أنَّ آريوسَ السَّكندريَّ تمَّ تجريدُهُ مـن كـلِّ وظائفـهِ الكنسيـةِ، بسببِ تمسُّكهِ بعقيدةِ المسيحيةِ الأولى الداعيةِ إلى التوحيدِ. وذكرنا أيضـًا أنَّ دعـوةَ آريـوس لـم تكـن هَرْطقـةً أو بِدعـةً، وإنمـا الـذي أدخـلَ البِـدعَ والهرطقـاتِ الكـبرى في المسـيحيةِ هــو بــولس الطرسوسـي -العـدو الألـدُّ للمسـيحِ وحوارييـهِ[١]- ذلـك اليهـوديُّ المـُتحوِّلُ[٢]، الـذي راحَ يُقـرِّبُ فِكْـرَةَ ألوهيـةِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعودتهِ بعـد موتـهِ إلـى عقـولِ السُّـذَّجِ مـن تلاميـذهِ؛ عنـدما شبَّهَ لهم ذلك بعودةِ أوزوريس (*Osiris*) -وهو إلهُ البعـثِ والحيـاةِ ورئـيسُ محكمـةِ المـوتى عنـد قـدماءِ المصـريينَ- وقيامتـهِ بعـد موتـهِ؛ ليمـنحَ الخلـودَ للناسِ[٣]!

وقد صادفت هذه الفكرةُ البولسيةُ أرضـًا خِصْبةً في عقـولِ أولئك الـذين كانت لهم معرفـةٌ بالفلْسفاتِ والاتجاهـاتِ التي سبقت المسيحيةَ، وسـاعدَ علـى ذلـك أيضـًا مـا صـادَفه المسـيحيونَ الأوائـلُ مـن اضـطهاداتٍ كـادت

(١) راجع سفر أعمال الرسل ٨: ٣.

(٢) راجع السابق ٢٢: ٣- ٥.

(٣) راجـع: ياروسـلاف تشـرني: الديانـة المصـرية القديمـة، تحـت عنـوان: عقيـدة أوزوريـس وتجـدد الحيـاة ص١١٣ ومـا بعـدها، ترجمـة: د.أحمـد قـدري، ط١ سـنة ١٩٩٦م، دار الشروق بالقاهرة.

تستأصِلُ شأفتَهم وتمحو آثارَهم، طوالَ أكثرَ من ثلاثةِ قرونٍ، وحتى إصدارِ مرسومِ ميلان الشهيرِ(١).

وكان من المأمولِ ألّا ينحازَ الإمبراطورُ قسطنطين إلى عقيدةٍ بعينِها - فضلاً عن أن يجعلَها العقيدةَ الرسميةَ للبلادِ- خاصَّةً بعد إصدارِه لذلك المرسومِ الداعي للتسامحِ الدينيِّ، وكان من المأمولِ أيضاً أن تُتركَ للأفرادِ والجماعاتِ حرِّيةُ الاعتقادِ والتعبيرِ عما يعتقدونَه بالحجَّةِ والبرهانِ.

لكنَّ الذي حدثَ كان بخلافِ ذلك تماماً؛ فقد مالَ الإمبراطورُ -بحكمِ عقيدتهِ الوثنيةِ السَّابقةِ- إلى الصِّياغةِ البولسيةِ للمسيحيةِ، عندما اشتدَّت الخصومةُ بين الجماعاتِ المسيحيةِ المختلفةِ حولَ طبيعةِ المسيحِ ومهمَّتهِ في الحياةِ، الأمر الذي أشعرَ قسطنطينَ بأنَّ أركانَ إمبراطوريتهِ معرَّضةٌ لخطرِ الانقسامِ والتفتيتِ.

فللحِفاظِ على وحدةِ الإمبراطوريةِ وتماسُكِها الداخليِّ، تنكَّرَ قسطنطينُ لما قطعه على نفسهِ من وعودٍ بحُرِّيةِ الاعتقادِ، وشجَّعَه على ذلك قساوسةُ الكنيسةِ البولسيةِ الذين كانوا في الواقعِ يُمَثِّلونَ فلسفةَ الإسكندريةِ أكثرَ من تمثيلِهم لمسيحيةِ المسيحِ!

لذلك؛ ارتأى الإمبراطورُ قسطنطينُ أن يجمعَ الناسَ على دينٍ واحدٍ، هو الدينُ المسيحيُّ في صورتهِ الجديدةِ المشبَّعةِ ببقايا التراثِ الوثني للآباءِ والأجدادِ، ودعا لعقدِ مجمعٍ عالميٍّ، أو على مستوى المسكونيةِ كلِّها، في

---

(١) راجع د.أحمد شلبي: المسيحية ص١٤٣.

مدينةِ نيقيةَ -كما أشرنا من قبل-؛ لإقرارِ تلك العقيدةِ التي رآها محقِّقةً لحُلمِ الوحدةِ؛ فحاولَ بشتَّى الطرقِ إجبارَ الجميعِ عليها، واعتبرَ المخالفَ فيها منبوذاً ومُطارَداً ومعرَّضاً للنفي والتشريدِ.

أسباب انعقاد مجمع نيقية:

مجمعُ نيقيةَ -كما ذكرنا- هو أولُ المجامعِ المسكونيةِ التي تَعترِفُ بِها الكنيسةُ القبطيةُ الأرثوذكسيةُ، انعقدَت أولى جلساتهِ في مايو -أو يونيو- من عام ٣٢٥م، وحضرَه ٣١٨ أُسقفاً من سائرِ أنحاءِ المسكونيةِ، وحضرَه آريوس وأتباعُه وعددٌ من فلاسفةِ وعلماءِ اللاهوتِ من الشرْقِ والغرْبِ، في مقابلةِ إسكندر أو ألكسندروس أسقفِ الإسكندريةِ في ذلك الوقتِ، ومارسيليوس، وأثناسيوس -وهو المجادلُ البارعُ الذي كان إلى ذلك الوقتِ مجرَّدَ رئيسِ شمامسةِ كنيسةِ الإسكندرية- وقد اعترضَ عليه آريوس؛ لا لبراعتهِ في فنِ الجدلِ والإقناعِ وإلباسِ الباطلِ ثوبَ الحقِّ فحسب، وإنما أيضاً لأنه لعبَ دوراً حاسِماً في تغييرِ مجرى الأحداثِ؛ عندما اقترحَ أن تُضافَ كلمةُ: (مساوٍ في الجوهر) أو (ذو جوهرٍ واحدٍ) (*Homoousion*)؛ للتعبيرِ عن طبيعةِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلاقتهِ باللهِ تعالى، ذلك الاقتراحُ الذي تمَّ الاتفاقُ عليه بأغلبيةٍ كبيرةٍ، في مقابلةِ سبعةَ عشرَ مُعارِضاً من بين الحاضرينَ.

هذا، بالإضافةِ إلى حضورِ الإمبراطورِ قسطنطين نفسهِ، الذي -كما يُقال- تركَ الأطرافَ المُتنازِعةَ تتحاورُ في حضورِه بمنتهى الحريةِ، ودونَ أن

تكونَ له ولايةٌ، أو تأثيرٌ مباشِرٌ على أحدٍ من الحاضرينَ(١)!

وقد أسفرَ المجمعُ عن قانونٍ للإيمانِ، وعن قراراتٍ مُهمَّةٍ؛ اعترفت بها جميعُ كنائسِ العالمِ، من أرثوذكسيةٍ وكاثوليكيةٍ وبروتستانتيةٍ، كما اعترفت بذلك القانونِ النيقاويِّ الذي يُتلى في كلِّ كنيسةٍ إلى الآن.

قانون الإيمان وقرارات مجمع نيقية:

لم يهتم الآباءُ المجتمِعون في المجمعِ بتفنيدِ معتقداتِ آريوس وأتباعِهِ، أو بردِّها إلى أصولِها المسيحيةِ الأولى، وإنما وجَّهوا كلَّ اهتمامِهم إلى الدفاعِ عن لاهوتِ المسيحِ وتدبيرِهِ الخلاصيِّ، وإظهارِ آريوس وشيعتِهِ في مظهرِ المخالفينَ في العقيدةِ الصحيحةِ.

وفي خِتام جلساتِ المجمعِ، انتُدِبَ ثلاثةٌ من أعضائِهِ لوضعِ قانونٍ إيمانيٍّ مُلْزِمٍ، والذي تعتبره جميعُ كنائسِ العالمِ إلى اليومِ دستوراً لإيمانِها؛ وهم: ألكسندروس بابا الإسكندريةِ، وشَمَّاسُه أثناسيوس، وليونتيوس أسقفُ قيصريةِ إقليمِ الكبَّادوك(٢) بآسيا الصغرى أو تركيا الآن.

وقد كتبَ هؤلاءِ الآباءُ الثلاثةُ نَصَّ قانونِ الإيمانِ ومُقرَّراتِهِ، بالصيغةِ

---

(١) راجع: الهرطقة في الغرب ص٧٤، وما بعدها، وانظر: تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٥٦.

(٢) راجع القديس أثناسيوس الرسولي: دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية ص٥، إعداد وترجمة: القس أثناسيوس فهمي جورج، عن النص الإنجليزي الوارد في:
Aselect Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of The Christian Church,second series,volume IV,1991,PP.149-172, Fdidted by Philp Schaff and Henry Wace.

التاليةِ:

«أُؤمِنُ بإلهٍ واحدٍ، آبٍ ضابطِ الكلِّ، خالقِ السَّماءِ والأرضِ، كلِّ ما يُرى وما لا يُرى. وبربٍّ واحدٍ يسوعِ المسيحِ، ابنِ اللهِ الوحيدِ، المولودِ من الآبِ قبلَ كلِّ الدهورِ، نورٍ من نورٍ، إلهٍ حقٍّ من إلهٍ حقٍّ، مولودٍ غيرِ مخلوقٍ، مُساوٍ للآبِ في الجوهرِ، الذي كان به كلُّ شيءٍ. الذي من أجلِنا نحن البشر، ومن أجلِ خلاصِنا نَزلَ من السَّماءِ، وتجسَّدَ من الروحِ القُدُسِ ومن مريمَ العذْراء وتأنَّسَ. وصُلِبَ عنَّا على عهدِ بيلاطسَ النبطي، وتألَّمَ وقُبِرَ، وقامَ في اليومِ الثالثِ على ما في الكُتُبِ، وصعدَ إلى السَّماءِ، وجلسَ عن يمينِ الآبِ، وأيضًا يأتي بمجدٍ لِيُدِينَ الأحياءَ والأمواتِ، الذي لا فناءَ لِمُلْكهِ. وبالروحِ القُدُسِ، الربِّ المُحيِّ، المُنبَثِقِ من الآبِ، الذي هو مع الآبِ والابنِ مَسجودٌ له ومُمَجَّدٌ، الناطقِ بالأنبياءِ. وبكنيسةٍ واحدةٍ جامعةٍ مُقدَّسةٍ رسوليَّةٍ. وأعترفُ بمعموديَّةٍ واحدةٍ لمغفرةِ الخطايا. وأترَجَّى قيامةَ الموتى، والحياةَ في الدهرِ الآتي. آمين»[١].

إذن، فأهمُّ القراراتِ التي أصدرَها المجمعُ المسْكوني النيقاويُّ، وتلك التي استُحدِثت فيما بعدُ؛ يمكنُ تلخيصُها فيما يلي[٢]:

---

(١) انظر: نص دستور الإيمان النيقاوي، في نشرة (أبناء التجلي) الصادرة عن دير تجلي الرب، رام الله فلسطين، السنة الخامسة، العدد ٥٥، تموز ٢٠٠٢م.

(٢) راجع/ الرابط التالي: *http://www.logon.org/arabic/S/p268.htm*، أو الحروب بين الموحدين والثالوثيين في تاريخ الكنيسة.

١- أنَّ الذي يَترمَّلُ من الكهنةِ لا يتزوَّجُ مرَّةً أخرى[١].

٢- إقرارُ قانونِ الإيمانِ بصيغتهِ السَّابقةِ.

٣- إتلافُ جميعِ الكتاباتِ التي تقولُ بأنَّ للمسيحِ طبيعةً واحدةً هي الطبيعةُ البشريةُ.

٤- اعتمادُ أربعةِ كتبٍ مقدَّسةٍ (الأناجيلُ الأربعةُ المعروفةُ حاليًا) إضافةً لرسائلِ بولسَ، وبعضِ الرسائلِ الأخرى التي يحتويها العهدُ الجديدُ اليومَ، بعد سلسلةٍ من عملياتِ الحذفِ والإضافةِ والتعديلِ لما كانت عليه في زمنِ بولسَ؛ لكي تَتوافقَ مع العقيدةِ الجديدةِ التي أعلنها المجمعُ المُقدَّسُ.

٥- تَبنِّي المسيحيةِ الجديدةِ للعديدِ من المناسباتِ والأعيادِ الوثنيةِ؛ مثل:

- عيد الميلاد (الكريسماس) الذي أدخله آباءُ الكنيسةِ في المسيحيةِ، من أجلِ اجتذابِ الوثنيينَ للمسيحيةِ؛ عندما أعلنوا أنَّ اليومَ الأخيرَ من احتفالاتِ الوثنيينَ في روما القديمةِ بإله الزراعة (ساترون) -الذي يبدأُ من السَّابع عشرَ من ديسمبر وحتى الخامس والعشرين منه- هو اليومُ الذي يوافِقُ ميلادَ المسيحِ!

- شجرةُ الميلادِ: وهي أيضًا تقليدٌ وثنيٌّ، أدخلَه آباءُ الكنيسةِ في الديانةِ الجديدةِ من أجلِ اجتذابِ الوثنيينَ الأوروبيينَ الذين كانوا يعبدونَ الأشجارَ، ويجلبونَها إلى بيوتِهم، ويزينونَها كما تُزيَّنُ شجرةُ الميلادِ الحالية.

---

(١) انظر ابن قرناس: مسيحية بولس وقسطنطين ص١٤٥ وما بعدها (سابق).

• قيامُ يسوع: حيث كان الوثنيونَ القدماءُ في آسيا الوسطى، يؤمنونَ بإلهةٍ تُسمى سيبل (*Cybele*) -إلهةُ الطبيعةِ والإخصابِ- التي كانت عشيقةَ الإله آتيس (*Attis*)؛ وهو في زعمِهم إلهٌ مولودٌ من عذراءَ، ويقومُ من الموتِ مرَّةً في الفترةِ (٢٢- ٢٥ مارس) من كلِّ عامٍ.

فلما دخل الرومانُ في الديانةَ المسيحيةَ، نُسِبت القيامةُ إلى المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أجلِ اجتذابِ الوثنيينَ للدخولِ في المسيحيةِ؛ وغدت الجمعةُ الحزينةُ هي التي صُلِبَ فيها المسيحُ، ويومُ الأحدِ هو يومُ قيامتِه من الموتِ!

٦- أُخِذت أسماءُ الأيامِ والشهورِ عند المسيحيينَ من أصولٍ وثنيةٍ في الغالبِ(١):

• فالأحدُ (*Sunday*)، في اللغاتِ الأنجلو سكسونية، يُطلق على إلهِ الشمسِ (*sun*)، وفي اللغاتِ اللاتينيةِ (*Dominica*) أي يومُ الإلهِ.

لذلك جعلَه قسطنطين يومَ المسيحيةِ الأسبوعيّ المقدَّس.

• والاثنينُ (*Monday*)، في اللغاتِ الأنجلو سكسونيةِ يعني يومَ القمرِ (*monandaeg*)؛ أي: أنه شهرُ آلهةِ القمرِ، وفي اللغاتِ اللاتينيةِ كذلك (*Luna*).

• والثلاثاءُ (*Tuesday*)، أُطلِقَ على أحدِ آلهةِ الاسكندنافيينَ (*Tyr*)، وأخذَ اسمه في اللغةِ اللاتينيةِ من الرومانِ الذين أطلقوه على إلهِ الحربِ

---

(١) انظر السابق ص١٥٣، ١٥٤، وراجع د.أنيس فريحة: أسماء الأشهر والعدد والأيام وتفسير معانيها ص١٨ وما بعدها، ط١ سنة ١٩٨٨م جروس برس، طرابلس لبنان.

عندهم.

- والأربعاءُ (*Wednesday*)، أُطلِقَ في اللغاتِ الأنجلو سكسونيةِ على الإلهِ الاسكندنافيّ (*Woden*)، وأطلِقَ في اللغاتِ اللاتينيةِ على إلهِ التجارةِ واللصوصيةِ عند الرومانِ (*Mercury*).
- والخميسُ (*Thursday*)، أُطلِقَ في اللغاتِ الأنجلو سكسونيةِ على إلهٍ اسكندنافيٍّ يُسمَّى (*Thor*)، كما أُطلِقَ في اللغاتِ اللاتينيةِ على كبيرِ آلهةِ الرومانِ (*Jovis*) أو المشتري (*Jupiter*).
- والجمعةُ (*Friday*)، اسمٌ أُطلِقَ في اللغاتِ الأنجلو سكسونيةِ على إلهةٍ اسكندنافيةٍ تُسمَّى (*Frigg*)، في حين أُطلِقَ في اللغاتِ اللاتينيةِ على إلهِ الحبِّ عند الرومانِ (*veneris*)، أو الزهرة (*Venus*).
- والسَّبتُ (*Saturday*)، أُطلِقَ في اللغاتِ اللاتينيةِ على إلهِ الزراعةِ عند الرومانِ (*Saturni*)، أو زحل (*Saturn*).

وكذلك، أسماءُ أشهرِ السنةِ الميلاديةِ:

- فشهرُ يناير (*January*)، كان يُطلَقُ على إلهِ الأبوابِ والبداياتِ عندَ الرومانِ، يانوس (*Janus*).

- وفبراير (*February*)، هو شهرُ التكفيرِ عن الخطايا أو التطهيرِ عندَ الرومانِ، وقد أُطلِقَ على احتفالاتِ الطهارةِ (*Februa*).

- ومارس (*March*)، هو شهرُ إلهِ الحربِ (*Maryis*)عندَ الرومانِ.

- وإبريل (*April*)، هو شهرُ الخصوبةِ؛ لأنه جاءَ من اللفظِ اللاتيني

(*Aprilis*) الذي يعني الخصوبةَ.

- ومايو (*May*)، أُطلِقَ على آلهةِ النموِ عندَ الرومانِ (*Maia*).

- ويونيو (*June*)، هو شهرُ نضوجِ المحاصيلِ الزراعيةِ، وقد أطلقَ على إلهةِ الزواجِ عند الرومانِ (*June*)، التي هي زوجةُ الإلهِ (*Jovis*)، أو المشتري (*Jupiter*).

- ويوليو (*July*)، اسمٌ أُطلِقَ على الإمبراطورِ الروماني يوليوس قيصر (*Julius Caesar*).

- وأغسطس (*August*)، اسمٌ أطلِقَ على الإمبراطورِ الروماني أَوكتيفيوس أوغسطوس قيصر (*Octavius Augustus Caesar*).

- وسبتمبر (*September*)، كان يُعتَبرُ في السابقِ الشهرَ السابعَ؛ لذلك فهو مأخوذٌ من الكلمةِ اللاتينيةِ (*septem*)التي تعني: السَّابع.

- وأكتوبر (*October*)، كان يعتبرُ في السابقِ الشهرَ الثامنَ؛ لذلك فهو مأخوذٌ من جذرِ كلمةٍ لاتينيةٍ تعني: ثمانية (*octo*).

- ونوفمبر (*November*)، كان يعتبرُ الشهرَ التاسعَ؛ وهو مأخوذٌ من كلمةٍ لاتينيةٍ تعني: التاسعَ، وهي (*novem*).

- وديسمبر (*December*)، قديماً كان هو الشهرَ العاشرَ؛ ولذلك جاءَ اسمُه من كلمةٍ لاتينيةٍ تعني: العاشرَ، وهي (*decem*).

هذا هو مجمعُ نيقيةَ المكسونيُّ الأولُ، والقراراتُ التي صدرت عنه، وهو لذلك يُعَدُّ أخطرَ وأشهرَ مجمعٍ مسكوني أو عالميٍّ في تاريخِ المسيحيةِ؛ نظراً

لملابساتِه التاريخيةِ والضَّجَّةِ الإعلاميةِ الهائلةِ التي صاحبت انعقادَه، فضلاً عن رعايةِ الإمبراطورِ له، واهتمامِه به، وبما يسفرُ عنه من قراراتٍ يتمنَّاها في صالحِ وحدةِ الإمبراطوريةِ.

والحقُّ أنَّ هذا المجمعَ لم ينجح تماماً في حسمِ الخلافاتِ الدائرةِ بين الأصوليينَ الأرثوذكس، وبين آريوس وأتباعِه ومن سارَ على نهجِ التوحيدِ للكنيسةِ الأولى.

لذلك، لم تنته المجامعُ المقدَّسةُ من الانعقادِ -لغرضٍ أو لآخرَ- بعد مجمعِ نيقيةَ، بل توالت المجامعُ المسكونيةُ؛ لإكمالِ ذلك القانونِ الإيماني، أو لتعديلِ بعض بنودِه:

- فقد عُقِدَ المجمعُ المسكوني الثاني، أو ما يُعرف بمجمعِ القسطنطينيةِ الأولِ في عام ٣٨١م؛ لتعديلِ قانونِ الإيمانِ المسيحيِّ بحيثُ أصبحَ يَنصُّ على الإيمانِ بوجودِ ثلاثةِ آلهةٍ؛ هم: الآبُ، وابنهُ المولودُ الذي لم يُخلق، والروحُ القُدُسُ الذي انبثقَ من الآبِ.

وذلك كان بسببِ ما أثارَه القديسُ مكدونيوس -بطريرك القسطنطينية- حولَ طبيعةِ الروحِ القدسِ، وإنكاره لأن تكونَ ذات طبيعةٍ إلهيةٍ(١).

ثم عُقِدَ مجمعٌ ثانٍ في القسطنطينيةِ عام ٤٤٩م؛ لفحصِ وتأكيدِ قراراتِ المجمعِ السَّابقِ؛ فجاءت قراراتُه مؤيدةً لما أصدرَه الأولُ(٢).

---

(١) راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٦٣.

(٢) راجع: الهرطقة في الغرب ص٨٨.

• وعُقِدَ مجمعُ أفسيس الأول عام ٤٣١م؛ لمناقشةِ بطريرك القسطنطينيةِ (نسطور)؛ الذي أنكرَ لاهوتَ المسيحِ، وأنكرَ أن يكونَ للإلهِ أمٌّ بشريةٌ.

لكنَّ المجمعَ أقرَّ بأنَّ للمسيحِ طبيعةً ومشيئةً إلهيةً واحدةً، وأنَّ أمَّه عذراءُ ولدته كإلهٍ؛ وبالتالي يجبُ أن تُدعى أمَّ الإلهِ!

وكان من نتيجةِ ذلك أن أعلنت كنيسةُ القسطنطينيةِ انشقاقَها عن كنيسةِ روما، وأصبحَ هناك عقيدتانِ حولَ طبيعةِ المسيحِ:

١- عقيدةُ كنيسةِ روما التي تؤمِنُ بأنَّ المسيحَ إلهٌ، وأمَّه هي أمُّ الإلهِ؛ تلك العقيدةُ التي عُرِفت فيما بعدُ بالكاثوليكيةِ.

٢- عقيدةُ كنيسةِ القسطنطينيةِ التي تؤمنُ بأنَّ المسيحَ إنسانٌ إلهٌ، وُلِدَ من امرأةٍ، وليكونَ أداةً للقدرةِ الإلهيةِ؛ تلك العقيدةُ التي عُرِفت فيما بعد بالأرثوذكسيةِ.

• وعُقِدَ مجمعُ أفسيسِ الثاني عام ٤٤٩م، الذي أسفرَ عن قراراتٍ، أهمُّها: الإعلانُ بأنَّ للمسيحِ طبيعتينِ: واحدةٌ منها إلهيةٌ، والأخرى بشريةٌ، وقد امتزجتا معًا، وبالتالي فجسدُه ليس مساوِيًا لأجسادِ البشر.

• وعُقِدَ مجمعُ خلقيدونية عام ٤٥١م - ذلك المجمعُ الذي يحتلُّ من حيث الأهميةُ المرتبةَ الثانيةَ بعدَ مجمعِ نيقيةَ عام ٣٢٥م، والمعروفُ في تاريخِ الكنيسةِ بالمجمعِ المسكوني الرابعِ - في عهدِ الإمبراطورِ (مركيانوس)؛ للنظرِ والردِّ على أسقفٍ يُسمَّى (أوطاخى)؛ وهو رئيسُ ديرٍ في القسطنطينيةِ يضمُّ أكثرَ من ثلاثمائةِ راهبٍ.

وقد تبنَّى ذلك الرجلُ الدعوةَ إلى أنَّ للمسيحِ طبيعةً واحدةً هي الطبيعةُ البشريةُ فقط، وإن ادَّعى أنَّ جَسَده يختلِفُ في جوهرِهِ عن أجسادِ بقيَّةِ البشرِ[1]!

إلاَّ أنه استطاعَ أن يجذِبَ إليه عدداً كبيراً من الأتباعِ والمؤمنينَ بالطبيعةِ الواحدةِ للمسيحِ؛ والذين عُرِفوا في تاريخِ المسيحيةِ بالأوطاخيةِ (*Eutychianism*).

وبعد سبعِ جلساتٍ مُتتالياتٍ، لم يحضر (أوطاخى) منها إلّا الجلْسةَ الأخيرةَ فقط، انتهى المجمعُ بأعضائهِ الستمائةَ والثلاثينَ إلى قراراتٍ تُدِينُ أوطاخي والأوطاخيةَ، وأعلنَ أنَّ للمسيحِ طبيعتينِ مختلفتينِ ومتحدتينِ، بدونِ اختلاطٍ أو تغييرٍ أو انقسامٍ أو انفصالٍ، فضلاً عن سنِّهِ لقوانينَ أخرى تخصُّ الأمورَ الكنسية.

هذه هي المجامعُ الأربعةُ المشهورةُ في تاريخِ الكنيسةِ، والتي عُقِدَت على مستوىً عالميٍّ -أو على مستوى المسكونيةِ كُلِّها[2]- وجميعُها كان ذا

---

(١) راجع: مسيحية بولس وقسطنطين ص١٥٧، والهرطقة في الغرب ص٨٧.

(٢) عقد مجمع مسكوني خامس أطلق عليه مجمع القسطنطينية الخامس عام ٥٥٣م، للنظر في آراء تخالف قرارات المجامع السابقة، وكان ذلك على عهد الإمبراطور (يوستينياتوس)، وكان عدد أعضاء المجمع ١٦٥ أسقفاً، ويترأسهم (أفتيشيوس) البطريرك المسكوني. وقد انتهى المجمع تأكيد قرارات مجمع خلقيدونية، ورفض كل المعتقدات المخالفة له.
- راجع:
http://www.almohales.org/news.php?id_subcat=856&id_maincat=12.

تأثيرٍ كبيرٍ في تقريرِ عقائدِ المسيحيينَ. لكن يظلُّ مجمعُ نيقيةَ الأولُ الذي عُقِدَ سنة ٣٢٥م = الأكثرَ خطورةً وتأثيراً من بين كلِّ المجامعِ التاليةِ، سواءٌ التي كانت على مستوىً مسكونيٍّ أو تلك التي كانت محدودةَ الانتشارِ، أو كان لها طابعٌ محليٌّ.

وكلُّها في الواقعِ، كانت للحفاظِ على ما أكَّدَه مجمعُ نيقيةَ الأولُ؛ ولم تختلِف عنه إلا في إقرارِ بعضِ التفاصيلِ الجزئيةِ لبعضِ القضايا التي لا تَمسُّ جوهرَ الدستورِ النيقاوي.

وعلى الطرفِ المقابلِ، ومما يَدلُّ على قوَّةِ الآريوسيةِ وانتشارِها الكبيرِ بين طوائفَ عديدةٍ من المسيحيينَ ورجالِ الإكليروس[(١)] - سواءٌ في حياةِ مؤسسِها أو بعدَ وفاتهِ[(٢)]- أنَّ الآريوسيينَ أنفسَهم -بعد وفاةِ آريوس عام ٣٣٦م- كان لهم عِدَّةُ مجامعَ كنسيَّةٍ؛ للنظرِ في قراراتِ المجامعِ المخالفةِ

---

(١) الإكليروس clergy: كلمة يونانية، يقصد بها النظام الكهنوتي الخاص بالكنائس أو الرتب الكهنوتية أو رجال الدين المسيحي الذين يحملون صوت الشعب إلى الله حسبما يعتقدون.

- راجع: *http://ar.wikipedia.org/wiki*.

وأول ظهور لهذا المصطلح كان في القرن الثالث الميلادي. وقد وضعت له درجات مختلفة، من أساقفة وكهنة وشمامسة وحتى منصب البابا أو البطريرك. والإكليريكي هو أحد رجال الإكليروس. وتتفق الكنيسة الكاثوليكية مع الكنيسة الأرثوذكسية في درجات هذا النظام، إلا أن البابا في الكاثوليكية يتمتع بسلطات أعلى. أما البروتستانت فلا يعترفون إلا بدرجتين فقط من درجات هذا النظام هما: القس والشماس.

(٢) راجع أسد رستم: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١: ٢٢٣ وما بعدها.

للعقيدةِ الآريوسيةِ، أو لعزلِ الأساقفةِ الداعينَ لألوهيةِ المسيحِ.

فقد عقدَ الآريوسيونَ مجمعَ (قيسارية) عام ٣٣٤م، ومجمع (صور) عام ٣٣٥م لعزلِ (أثناسيوس) وتجريدهِ من منصبِ البابويةِ؛ وذلك بسببِ دورهِ في مجمعِ نيقيةَ. وقد تمَّ نفيُه إلى فرنسا بناءً على رغبةِ الآريوسيينَ.

كما عقدوا مجمعًا آخرَ في أنطاكيا عام ٣٤١م، حضرَه سبعُةٌ وتسعونَ أسقفًا آريوسيًّا، وقرَّروا فيه بعضَ المبادئ التي تتفقُ مع معتقداتِهم.

ولمَّا أعادَ الإمبراطورُ الرومانيُّ القدِّيسَ (أثناسيوس) مرَّةً أخرى إلى كرسي البابويةِ، ثارَ الآريوسيونَ على قرارِ الإمبراطورِ، وعقدوا مجمعًا آخرَ في مدينةِ آرلس (*Arles*) بفرنسا عام ٣٥٣م، قرَّروا فيه عزلَ أثناسيوس.

وتوالت المجامعُ المناوئةُ لقراراتِ مجمعِ نيقةَ، والمؤيدةُ للآريوسيةِ والفكرِ التوحيدي في المسيحيةِ؛ كما حدث في مجمعِ «ميلانو» عام ٣٥٥م، ومجمعِ «سلوقيا» عام ٣٥٩م، ومجمع «أنطاكية» عام ٣٦١م، وغير ذلك.

والحقُّ أنَّ القرنَ الرابعَ الميلاديَّ، لم يكن وحدَه القرنَ الذي صِيغت فيه قوانينُ الإيمانِ، كما قد يظنُّ البعضُ؛ فهناك ملاحظةٌ دقيقةٌ أشارَ إليها أحدُ الباحثينَ المسيحيينَ، تحت عنوان: عصرُ قوانينِ الإيمانِ(١)؛ وهي أنَّ معظمَ المؤرِّخينَ يعتبرونَ القرنَ الرابعَ للميلادِ هو عصر (المجامع الكنسية) التي صاغت الإيمانَ المسيحيَّ. واعتبرَ ذلك خطأً شائِعًا، ينطوي على جهلٍ

(١) جورج حبيب بباوي: المعمودية في الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية - دراسة للعقيدة والطقس في القرون الخمسة الأولى - ص٩٨، ط سنة ٢٠٠٧م، الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

بمسألتين؛ هما:

- **الأولى**: أنَّ أسلوبَ المجامعِ يُعدُّ أسلوباً رعائيَّاً قديماً، لحلِّ المشاكلِ الرعائيةِ، ووضعِ القوانينِ التي تتصلُ بالعلاقةِ بين الكنيسةِ ومسؤوليتها تجاهَ رعاياها. وهذا واضحٌ بشكلٍ كبيرٍ في قوانينِ الرسلِ ورسائلِهم المختلفةِ؛ فالمجامعُ قديمةٌ قِدمَ الكنيسةِ نفسِها.

- **الثانيةُ**: أنَّ البعضَ يتجاهلُ الحقبة ما بين (١٩٥ - ٢٩٥م)؛ وهي الحقبة التي لم يكتفِ فيها الآباءُ بنشرِ كتبٍ لمحاربةِ الهرطقاتِ، وإنما عَقدت فيها الكنيسةُ مجامعَ مهمَّةً سبقت مجمعَ نيقيةَ للردِّ على (المونتانية)[1]، وثلاثةَ مجامعَ أخرى في الحقبة من ٢٦٤م إلى ٢٩٦م للردِّ على (بولس السيمسطائي) الذي أنكرَ لاهوتَ المسيحِ، وغير ذلك[2].

لكن على أيةِ حالٍ، وبغضِّ الطرْفِ عمَّا إذا كانت هذه الإشارةُ صحيحةً أو غيرَ صحيحةٍ، فقد بات مؤكَّداً أنَّ كثرةَ المجامعِ الكنسيةِ في القرنِ الرابعِ - وما قبلَه وما بعدَه- ليست دليلاً على محاربةِ رجالِ الكنيسةِ للبدعِ والهرطقاتِ، التي -في زعمهم- تُقوِّضُ العقيدةَ الصحيحةَ التي ألقاها المسيحُ إلى بولس الرسولِ، وإنما هي دليلٌ قاطِعٌ على اضطرابِ العقيدةِ البولسيةِ وعدمِ تماسُكِها أمامَ براهينِ العقلِ ونِداءِ الفطرةِ السليمةِ.

---

(١) المونتانية: هي حركة مسيحية مبكرة، ظهرت في منصف القرن الثاني للميلاد، وتنسب إلى رجل يسمى (مونتانوس) الذي كان وثنياً ثم تحول للمسيحية. ينسب إليها القديس (ترتليان). راجع تعريف المونتانية: *http://ar.wikipedia.org/wiki*.

(٢) راجع: تاريخ الكنيسة ٧: ٢٧ وما بعدها.

المبحث الثالث

عقائد النصارى الموحدين في ضوء الفكر الإسلامي

يَنبغي التأكيدُ أولاً على أنَّ التوحيدَ الحقيقيَّ، هو فقط ما جاءت به الكتبُ السَّماويةُ ونطقت به رسلُ اللهِ وأنبياؤه الكِرامُ من لدن آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وحتَّى خاتمِ الأنبياءِ والمرْسلينَ محمدٍ ﷺ؛ وهو الإيمانُ بأنَّ اللهَ تعالى واحدٌ لا شريكَ له في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه، وإليه وحده تتوجَّه العبادةُ، وتُرْفَعُ أَكُفُّ الضَّراعةِ.. وهذا هو التوحيدُ المطلَقُ.

أما إذا قُيِّدَ التوحيدُ بأحدٍ من الناسِ أو بطائفةٍ ما؛ كأن يُقال مثلاً: توحيدُ آريوس أو ترتليان، أو توحيدُ المونتانيةِ أو النسطوريةِ، ونحو ذلك؛ فهو عندئذٍ ليس توحيداً مُطلقاً على الحقيقةِ، ولكنه توحيدٌ مُقيَّدٌ بذلك الشخصِ أو بتلك الطائفةِ، وهو لذلك لا يخلو من شوائبِ الشِّرْكِ، وربّما لا يخلو أيضاً من بعضِ المتناقضاتِ العقليةِ.

صحيحٌ أنه قد ظهرَ في تاريخِ المسيحيةِ رِجالٌ كُثُرٌ، حملوا أفكاراً تُعَدُّ خَرْقاً لما استقرَّت عليه الكنيسةُ بعدَ مجمعِ نيقيةَ المسكوني الأولِ، وكان لها تأثيرٌ كبيرٌ في العديدِ من الطوائفِ والفرقِ المسيحيةِ، لكن لم تتبلْور أفكارُهم في صورةِ توحيدٍ مُطلَقٍ؛ بسببِ أنَها لم تُستلْهم مُباشرةً من معينٍ السَّماءِ النقيِّ، أو رُبَّما بسببِ الحيلولةِ بينهم وبينَ الدينِ الصحيحِ الذي جاءَ به المسيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والحديثُ عن الموحدينَ من النصارى، لا يعني سوى الفِرْقةِ أو الفِرَقِ

التي تعتقدُ أنَّ اللهَ واحدٌ، وأنَّ المسيحَ رسولٌ فقط، وترفضُ التثليثَ والتجسُّدَ والفِداءَ. ومن ثمَّ تختلفُ عن باقي فرقِ النصارى القائلينَ بالتثليثِ والبنوَّةِ ونحو ذلك من العقائدِ التي تقرَّرت في مجمعِ نيقيةَ عام ٣٢٥م، والمجامعِ اللاحقةِ عليه؛ والتي أشرنا إليها في المبحثِ السَّابقِ.

هؤلاءِ الموحِّدونَ لا يمكنُ مساواتُهم بغيرِهم من طوائفِ النصارى؛ ذلك أنَّ القرآنَ الكريمَ قد حكمَ بالكفرِ على المؤلِّهينَ للمسيحِ والقائلينَ بالتثليثِ، في الوقتِ الذي ذكرَ فيه مقالةَ الحواريينَ بأنهم مسلمونَ، وبيَّنَ أنَّ أولئك الموحِّدينَ الأوائلَ من أتباعِ المسيحِ هم الطائفةُ التي آمنت مِن بني إسرائيلَ؛ كما في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]. وقولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٢ - ٥٣].

وهؤلاءِ هم موحِّدو النصارى، الذين اتبعوا المسيحَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في إسلامِ العقيدةِ للهِ، الذي هو دينُ كلِّ الأنبياءِ، وكانوا خاضعينَ لشريعةِ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وظلُّوا على ذلك، ولم يتأثَّروا بما أدخلَه بولس الطرسوسيُّ على المسيحيةِ من بدعٍ وضلالاتٍ، وإنما حاربوه وحاربوا معتقداتِه كُلَّها وحذَّروا منها، واضطُّهِدوا في سبيلِ نشرِ العقيدةِ الصحيحةِ التي ورِثوها عن أنبياءِ اللهِ

تعالى، وثبتَ بعضُهم على هذا الإيمانِ إلى البعثةِ المحمديةِ، وبعضُهم خلطَ عملاً صالحـًا بآخرَ سَيئـًا، فتسلَّلَت إلى عقيدتهِ بعضُ شوائبِ الشِّرْكِ!

وقد تعرَّضَ تاريخُهم لعملياتٍ كثيرةٍ من التشويهِ والطمسِ، مما جعلَ بعضَ الباحثينَ يخلطونَ - من دونِ قصدٍ في الغالبِ - بين أولئكَ الموحدينَ وبين بعضِ الفرقِ المنشقَّةِ عن الكنيسةِ الرومانيةِ، التي تُسمِّي جميعَ المنشقينَ عنها هراطقةً(١)!

فالكنيسةُ الكاثوليكيةُ الملْكانيةُ -التي تَعتقِدُ أنَّ المسيحَ قدِيمٌ أزليٌّ، وأنَّ مريمَ عليها السَّلامُ إنما ولدت إلهـًا أزليًّا، وأنَّ القتلَ والصلْبَ قد وقعَ على الناسوتِ واللاهوتِ معـًا- تعمَّدت وصفَ فرقِ النسطوريةِ واليعقوبيةِ(٢) بالفرقِ التوحيديةِ؛ بِغرضِ إخراجِهم من الدِيانةِ النصرانيةِ وتكفيرِهم عندَ العامَّةِ! مع أنَّ النسطوريينَ يؤمنونَ بالتثليثِ، لكنهم يُنكرونَ أن تكونَ مريمُ والدةَ الإلهِ، وإنما يعتقدونَ أنَها والدةُ الناسوتِ وليس اللاهوت، وأنَّ القتلَ والصلْبَ إنما وقعَ على المسيحِ من جِهةِ ناسوتهِ فقط، لا من جهةِ لاهوتهِ!!

---

(١) د.سفر الحوالي: مقالة بعنوان (الموحدون من النصارى - واقعهم ومعاناتهم)، ص٢.

(٢) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل برأيه متأثراً بالمعتزلة.

واليعقوبية: ينسبون إلى يعقوب البرذعاني الذي كان راهبـًا بالقسطنطينية؛ وهم يقولون بالأقانيم الثلاثة، لكنهم يقولون إن الكلمة انقلبت لحمـًا ودمـًا؛ فصار الإله هو المسيح.

- راجع التعريف بالنسطورية واليعقوبية في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص٢٦٨، ٢٧٠. تحقيق: أمير علي مهنا وآخر، ط٦، سنة ١٩٩٧م، دار المعرفة، بيروت لبنان.

واليعقوبيةُ مع إيمانِهم بالتثليثِ أيضًا، يُنكرونَ أن يكونَ للمسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طبيعتانِ، وإنَما يقولون بالطبيعةِ الواحدةِ وهي الإلهية، وأنَّ جوهرَ الإنسانِ فيه صارَ إلهيًّا بعد امتزاجِهِ بجوهرِ اللهِ، وأنَّ الكلمةَ لم تأخذ من مريمَ -عليها السلامُ- شيئًا، وإنما مرَّت بِها كما يَمرُّ الماءُ بالميزابِ! بل منهم من قال: إنَّ المسيحَ هو اللهُ تعالى(١)!!

ومن هنا، كان الخلْطُ، أو الخطأُ الذي وقعَ فيه بعضُ الباحثينَ الذين اعتقدوا أنَّ ما أشاعته الكنيسةُ الرومانيةُ حولَ هذه الفرقِ، أو ما جعلته توحيداً على سبيلِ التهمةِ والنِكايةِ والتشنيعِ، هو التوحيدُ الخالصُ الذي عليه أوائلُ الموحِّدينَ من النصارى.

أما نِسبةُ التوحيدِ إلى بولس السيمساطي- مؤسس الفرقةِ البولیانیةِ- أو آريوس السَّكندريِّ -مؤسس الفرقةِ الآريوسية- فهي أقربُ إلى الصَّوابِ والدِّقَّةِ؛ لأنَّ ما نُسِبَ إليهما في المراجعِ المسيحيةِ هو إنكارُ لاهوتِ المسيحِ؛ وهذا يكفي لقلَّةِ المصادرِ عنهم.

وأتباعُ هؤلاءِ الموحِّدينَ هم مَن نتوجَّه إليهم بالحديثِ في هذه الدراسةِ؛ فربما يكونُ بعضُهم أو بعضُ منسوبيِهم الآنَ لم تَصلْه دعوةُ الإسلامِ؛ لبعدهِ عن بيئتهِ الأولى، أو ربّما تكونُ وصلته الدعوةُ لكن بصورةٍ مشوَّهةٍ لم يستطع معها تبيُّنَ وجهِ الصوابِ فيها، أو قد تكونُ وصلته بصورةٍ سليمةٍ ولكنه لم يتمكَّن من استيعابِ مفرداتِها لصعوبةِ اللغةِ المستخدمةِ فيها أو

---

(١) انظر الشهرستاني: السابق ١: ٢٦٦- ٢٧٢.

لسوءِ الدعايةِ والعَرْضِ أو لغيرِ ذلك من الأسبابِ.

ولعلَّ هؤلاءِ الموحِّدينَ، هم المعنيونَ في حديثِ النبيِّ ﷺ، الذي رواه عياضُ بن حمّار المجاشعي؛ بقولِهِ: «إنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتهم، عجميهم وعربيهم، إلاَّ بقايا من أهل الكتابِ..»(١).

أو لعلَّهم القِلَّةُ المؤمنةُ من أهلِ الكتابِ الذين أشارَ إليهم القرآنُ الكريمُ في أكثرَ من موضعٍ، وظلُّوا على إيمانِهم الأولِ قبلَ أن تُسيَّسَ المسيحيةُ وتعبرَ نَهرَ الأردنِ؛ لتُصبحَ ديانةً عالميةً، وليست ديانةً محليةً لبني إسرائيلَ فقط؛ كما جاءَ على لسانِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

الإسلام وعقائد موحدي النصارى:

ذكرنا فيما سبقَ أنَّ طوائفَ الموحِّدينَ الحقيقيينَ من النصارى، هم الذين أنكروا لاهوتَ المسيحِ، واعتقدوا بشريتَه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وآمنوا به فقط كنبيٍّ مُرْسَلٍ إلى بني إسرائيلَ، وليس إلهاً ولا ابنَ إلهٍ، وليست له صفةٌ تزيدُ على ذلك.

وهذا القدْرُ -من وجِهةِ نظري- كافٍ في الحكمِ بإسلامِ هذه الطوائفِ، أو الحكمِ عليهم بأنهم صحيحو العقيدةِ ومسلمو التوجُّهِ للهِ الواحدِ الأحدِ. ويبدو أنَّ أكثرَ من أدركَ منهم الإسلامَ سارعَ باعتناقهِ، لما يعلمه من أسسِ العقيدةِ الصحيحةِ التي نادى بها أنبياءُ اللهِ تعالى، ولما يعتقده من أنَّ

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ص١٨٥، وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى رقم ١٨ ص٢٩٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع تحت رقم ٢٨٦٥.

الأناجيلَ قد أقرَّت مجتمعةً بثلاثِ قضايا مهمَّةٍ[1]؛ وهي:

- الأولى: أنَّ اللهَ واحدٌ لا شريكَ له؛ حيث جاءَ على لسانِ المسيحِ: «أنَّ أباكم واحدٌ الذي في السَّماواتِ»[2]، وقوله: «الربُّ إلهُنا واحدٌ وليس آخر سواه»[3].

- الثانيةُ: أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رسولُ اللهِ، وليس أكثرَ من رسولٍ؛ كما جاء في إنجيلِ متى: «هذا يسوعُ النبيُّ الذي من ناصرةِ الجليلِ»[4]، وفي يوحنا: «وأنا إنسانٌ قد كلَّمَكم بالحقِّ الذي سمعَه من اللهِ»[5]، وفي لوقا: «قد خرجَ نبيٌّ عظيمٌ»[6].

- الثالثةُ: أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رسولٌ لبني إسرائيلَ فقط؛ حيث ذكرَ إنجيلُ متى أنَّ المسيحَ عندما حدَّدَ الحواريينَ الاثني عشرَ، أوصاهم قائلاً: «إلى طريقِ أممٍ لا تمضوا، وإلى مدينةٍ للسَّامريينَ لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحريّ إلى خِرافِ بني إسرائيلَ الضَّالَّةِ»[7].

أما من لم تبلغْه دعوةُ الإسلامِ على وجهٍ صحيحٍ، أو بلغته بالصورةِ

---

(١) راجع د. أحمد شلبي: المسيحية ص٢٩٠، سابق.

(٢) متى، الإصحاح ٢٣: ٨.

(٣) مرقص، الإصحاح ١٢: ٣٠، ٣١.

(٤) متى، الإصحاح ٢١: ١١.

(٥) يوحنا، الإصحاح ٨: ٤٠.

(٦) لوقا، الإصحاح ٧: ١٦.

(٧) متى، الإصحاح ١٠: ٥، ٦.

المنفِّرَةِ التي أشاعتها الكنيسةُ عنه وعن رسولِهِ ﷺ، أو بلغته بأيةِ صورةٍ أخرى غيرِ صحيحةٍ، ولم يستطع التجاوبَ معها على أي نحوٍ؛ فبقي على عقيدتهِ الأولى المنكرةِ للاهوتِ المسيحِ، والمقرّةِ في الوقتِ نفسهِ بالوحدانيةِ المطلقةِ للهِ تعالى؛ فإنَّ هؤلاء يعاملون معاملة أهل الفترة، يمتحنهم الله يوم القيامة، فمن أطاع فهو من أهل الجنة، ومن عصى فهو من أهل النار(١).

أما مَن أدركَ من أولئك الموحِّدينَ دعوةَ الإسلامِ، ومِن ثَمَّ عُرِضت عليه بشكلٍ صحيحٍ، واستوعبها تمامَ الاستيعابِ، واستطاعَ التجاوب معها بِما يُسقِطُ له أيَّ عُذرٍ، ثمَّ لم يؤمن بِها وظلَّ متمسِّكًا بما لديهِ من عقائدَ -هي صحيحةٌ في جملتِها- فهو وإن كان قريبًا من الإسلامِ، إلّا أنه يظلُّ جاحِداً لما جاءَ به محمدٌ ﷺ؛ إذ كان من المفترضِ أن يكونَ أولَ من يتبعُ النبيَّ ﷺ في عقيدتهِ التي هي عقيدةُ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وجميعِ الأنبياءِ من قبلهِ؛ لأنَّ العقائدَ الأساسيةَ للإسلامِ هي عقائدُ كلِّ دينٍ سماويٍّ(٢).

- **أوجه الخلاف بين عقيدة الإسلام وعقائد موحدي النصارى:**

الإسلامُ يلتقي مع أولئك الموحِّدينَ من النصارى في الإقرارِ بالوحدانيةِ المطلقةِ للهِ تعالى، كما ذكرنا، لكن تَبقى هناك اختلافاتٌ دقيقةٌ بين الفريقينِ في بعضِ التفاصيلِ الجزئيةِ التي لا تَمسُّ جوهرَ التوحيدِ؛ يمكنُ حصْرُها في

(١) انظر: طريق الهجرتين ص٥٨٧،٥٧٠.

(٢) راجع: الشيخ محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة ص٤٤، ط١٨ سنة ٢٠٠١م، دار الشروق بالقاهرة.

النِقاطِ الثلاثةِ التاليةِ(١):

أولاً: الخِلافُ حولَ **ولادةِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من عَذراءَ**؛ حيث يُجمع المسلمونَ على أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وُلِدَ من مريمَ -عليها السَّلامُ- وهي عذراءُ لم يقرَبْها رجلٌ؛ وهذا ثابتٌ بنصِّ القرآنِ الكريمِ في أكثرَ من موضعٍ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، وقولِهِ تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]، وقولِهِ تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

والإحصانُ في الآيةِ الأخيرةِ: إشارةٌ إلى أنَّ المعاشرةَ الجنسيةَ لم تقع قطُّ، بشأنِ الحملِ بالمسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

أما موحِّدو النصارى، وهم مَن ذكرنا مِن أتباعِ البوليانيينَ والآريوسيينَ، فقد اعتقدوا أنَّ وِلادةَ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانت عن علاقةٍ طبيعيةٍ بين مريمَ -عليها السَّلامُ- وزوجٍ لها؛ سواءٌ أكانَ يوسفَ النجَّار أم رجلاً آخرَ.

والحقُّ أنَّ القولَ بولادتهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من عذراءَ، اقترنَ أو تزامنَ مع نشاطِ القائلينَ بتأليهِهِ؛ فلعلَّ الخوفَ من استثمارِ القولِ بتأليهِ السَّيدِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على أوسعِ نطاقٍ، هو الذي نفَّرَ الموحدينَ من الإقرارِ بأنه وُلِدَ من عذراءَ.

---

(١) راجع: حسني يوسف الأطير: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ص٢٣٤، وما بعدها، ط١ سنة ١٩٨٥م، دار الأنصار بالقاهرة.

أو لعلَّ هؤلاء الموحدينَ لم يكن لديهم نصٌّ صَرِيحٌ يَثِقونَ به في هذه القضيةِ؛ خاصَّةً وأنَّ جميعَ الأناجيلِ الحاليةِ، وما أُلحِقَ بِها من كتبٍ ورسائلَ، كانت تخلو من الإشارةِ إلى أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قالَ بولادتِهِ من عذراءَ؛ إذ الإقرارُ بولادةِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ من عذراءَ على أنه عقيدةٌ أساسيةٌ من عقائدِ الكنيسةِ لم يتمّ قبلَ سنةِ ١٥٠م.

وهذا يعني أنَّ الكنيسةَ رُبَّما احتاجت إلى بعضِ الوقتِ كي تُهيئَ وجدانَ الشعبِ وعقلَه لتقبُّلِ عقيدةِ الميلادِ من عذراءَ (*Virgin Birth*)؛ كما ذكرَ د.وليم إدي -أحدُ مفسِّري الإنجيلِ- قائلاً: «إنَّ سِرَّ ولادةِ فادينا من عذراءَ لم يُفهم دفعةً واحدةً، بل بالتدريجِ؛ ولذلك كانت الحاجةُ إلى ما يَدرأُ عنه شوائبَ العارِ مُدَّةَ بقاءِ ذلك السِّرِ مكتوماً؛ فكان الاحتياجُ شديداً إلى حِجابِ الزيجةِ المكرَّمةِ»[(١)]!!

ثانياً: الخِلافُ في **كونِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمةً إلهيةً**؛ حيث صرَّحَ القرآنُ الكريمُ في أكثرَ مِن موضعٍ، أنَّ المسيحَ ابنَ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (كلمةٌ) من الله.

لكن هناك أمرانِ في هذا الصَّدَدِ ينبغي الإشارةُ إليهما؛ وهما:

- الأولُ: أنه لم يُنسب إلى المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ في كلامِهِ أنه (كلمة)؛ وهذا يعني أنَّ الوحيَ لم يَرد بذلك الأمرِ، ومن ثمَّ لم يَتلقَّاها أحدٌ من التلاميذِ عنه، خبراً كان أو تعليماً واعتقاداً.

---

(١) د. وليم إدي: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل - شرح بشارة متى - ١: ١٢-١٦، الصادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت سنة ١٩٧٣م.

- الثاني: أنَّ القرآنَ الكريمَ عند حديثهِ عن المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ذكرَ (كلمة) بدونِ أداةِ التعريفِ؛ ليؤكِّدَ بهذا التنكيرِ على كونهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مجرَّدَ (كلمة) من كلماتٍ كثيرةٍ، ولم يستخدم أداةَ التعريفِ قطُّ في لفظِ الكلمةِ عند اقترانِها بالمسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

والمعلومُ أنَّ لفظَ (كلمة)، يأتي في القرآنِ بمعانٍ كثيرةٍ؛ فعلى سبيلِ المثالِ:

تأتي (كلمة) في معنى اللفظِ والقولِ: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

وتأتي في معنى الوعدِ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١].

وتأتي في معنى العقيدةِ والتعليمِ؛ كما في قولهِ تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨]، وقولهِ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وتأتي في معنى الحكمِ والقضاءِ؛ كما في قولهِ تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقولهِ: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣]، وقولهِ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

- وتأتي في معنى النُّظُمِ والنواميسِ الكونيةِ؛ كما في قولِهِ تعالى ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وواضحٌ من تلك المعاني السَّابقةِ للفظِ (كلمة)، أنَها جميعـًا لا تُعطي معنى الألوهيةِ على الإطلاقِ، ولا تَصلُحُ في اللغةِ أيضـًا -مجازاً أو حقيقةً- لأن تكونَ اسمـًا لكائنٍ إلهيٍّ مولودٍ، أو ما شابه ذلك.

أما عندما يَستخدِمُ القرآنُ الكريمُ لفظَ (كلمة)، في حقِّ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنما يستخدِمُها بمعنى (الخلق) فقط؛ ليكونَ المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كلمةً من اللهِ؛ أي: مخلوقـًا حسبَ قانونٍ إلهيٍّ خاصٍّ به وحدَه، لا يَشتركُ فيه أحدٌ غيرهُ من بني جِنسهِ.

وهذا بالطبعِ لا يستوجِبُ إيثاراً له بأفضليةٍ أو كمالٍ على غيرهِ من الرسلِ السَّابقينَ عليه، بل إنَّ مثلَه في الخلْقِ كمثلِ آدمَ؛ كِلاهما له ناموسٌ مُختلِفٌ في الخلْقِ اقتضى إيجادَه على النحوِ الذي أرادَه اللهُ تعالى، دونَ تفاضُلٍ بينهما في عمليةِ الخلْقِ؛ أو دونَ أن يكونَ لابنِ المرأةِ فضلٌ على ابنِ الترابِ[1]!

إذن، فالمسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الإسلامِ -كما في المسيحيةِ الأولى- هو كلمةٌ من اللهِ، بمعنى أنه مخلوقٌ حسبَ ناموسٍ إلهيٍّ خاصٍّ؛ إظهاراً للقدرةِ المطلقةِ للهِ تعالى وسلطانهِ على النواميسِ كلِّها، ووَفقَ حِكمتهِ تعالى التي لا تُدرَك ولا تُحَدُّ.

---

(١) راجع حسني الأطير: عقائد النصارى الموحدين ص٢٤١.

أما مفهومُ الكلمةِ في المسيحيةِ البولسيةِ، فإنَها تُستَعملُ بصيغةِ المذكرِ للدلالةِ على المسيحِ الذي يزعمون أنه ظهرَ مُتكلِّمًا ومُعلِنًا عن نفسهِ بأنه اللهُ[1]. وقد أوضحنا سابقًا أنَّ الآريوسيينَ والبوليانيين وغيرَهم من الموحِّدينَ، أنكروا جميعًا أن تكونَ الكلمةُ إلهًا أو ابنًا للإلهِ[2].

ولا شكَّ أنَّ عقيدةَ الإسلامِ في خلْقِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، تَتوافقُ تَمامًا مع ما ذهبَ إليه موحِّدو النصارى؛ الذين أنكروا كونَ الكلمةِ -أو اللوجوس[3]- الإلهَ الذي تجسَّدَ، بالمعنى الواردِ في أولِ فقرةٍ من إنجيلِ يوحنا، تحتَ عنوانِ (الكلمةُ صارَ جسداً)؛ التي تقولُ: «فِي البَدْءِ كانَ الكَلِمَةُ، والكَلِمةُ كانَ عندَ اللهِ، وكانَ الكَلِمَةُ اللهَ»[4].

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ص٧٨٥، مادة (كلمة)، ط دار كنائس الشرق الأدنى.

(٢) راجع د.رمسيس عوض: الهرطقة في الغرب ص٧٣، وانظر: تاريخ الفكر المسيحي ٤: ٦٢٠.

(٣) اللوجوس هو الكلمة الإلهية عند فلاسفة اليونان الأقدمين، لكنها في تصور آباء الكنيسة تعني التساوي التام بين الله واللوجوس الذي هو ابن الله. فالكلمة أو اللوجوس هو عند الكنيسة كائنٌ أبديٌّ فوق كل علة وكلمة؛ لأنهم يعتقدون أنه لا توجد كلمة قبل اللوجوس.

- راجع د.عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ٢: ٣٧١، ط١ سنة ١٩٨٤م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان.

- وانظر القديس جريجوريوس الناطق بالإلهيات،: ثيئوفانيا ميلاد المسيح - أو أنشودة الميلاد - نصوص آبائية رقم (٧٠)، ص١٥، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة.

(٤) إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول: ١، وانظر د.محمد علي زهران: إنجيل يوحنا في الميزان =

والحقُّ أنَّ الاعتقادَ السائدَ في الكنائسِ الأرثوذكسيةِ غيرِ الخلقيدونية، من بعدِ عام ٤٥١م إلى اليومِ - وهي الكنائسُ السّريانيةُ والأرمنيةُ والأثيوبيةُ والهنديةُ - أنَّ السَّيدَ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو الكلمةُ المتُجسِّدُ، الذي له لاهوتٌ كاملٌ وناسوتٌ كاملٌ، ولاهوتُه مختلطٌ بناسوتِهِ اختلاطًا دائِمًا، وأنَّ باتحادِ الطبيعتينِ داخلَ رحمِ السيدةِ مريمَ -عليها السَّلامُ- تكوَّنت منهما طبيعةٌ واحدةٌ هي طبيعةُ اللهِ الكلمةِ المُتجسِّدِ؛ وهذه الكنائسُ عُرفت باسم: أصحابُ الطبيعةِ الواحدةِ (*Monophysites*).

في حين أن جميع الكنائسِ الخلقيدونيةِ الكاثوليكيةِ، والرومانيةِ -أو الروم الأرثوذكس- والكنائسِ البروتستانتية = تؤمنُ بطبيعتينِ للمسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لذلك تُعرف هذه الكنائسُ باسمِ: (أصحابُ الطبيعتين)[1]!

وكِلا الأمرينِ -الاعتقادُ بالطبيعةِ الإلهيةِ الواحدةِ أو بالطبيعتينِ معًا- تمَّ رَفضُهما من قبلِ موحِّدى النصارى، ومن ثمَّ فلا خِلافَ بين الإسلامِ وبين هؤلاءِ الموحِّدينَ حولَ المعتقدِ الصحيحِ في مريمَ -عليها السَّلامُ- وفي المعنى الصحيحِ لمفهومِ الكلمةِ الذي يخلو تمامًا من الإشارةِ إلى معنى الإلهِ أو ابنِ الإلهِ.

إلّا أنَّ الخِلافَ قد يبدو في استخدامِ لفظِ الكلمةِ ذاتِها؛ ذلك أنَّ تعاليمَ

=

ص١٧٦، ط١ سنة ١٩٩٢م، دار الأرقم بالزقازيق.

(١) راجع الأنبا شنودة الثالث: طبيعة المسيح ص٣ وما بعدها، ط١ سنة ١٩٩١م، نشر الكلية الإكليريكية للأقباطِ الأرثوذكس، القاهرة.

آريوس الخاصةَ بشخصِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيها قَدْرٌ كبيرٌ من المغالاةِ في الوصفِ.

فعلى الرَّغم من اعتقادِ آريوس بأنَّ المسيحَ الذي تتعبَّدُه الكنيسةُ ليس إلهاً، ولا يمتَلِكُ الصِّفاتِ الإلهيةَ المطلقةَ، إلاَّ أنه نادى بأنَّ اللهَ خلقَ الكلمةَ (الابن) لأجلِنا؛ لأنه عندما أرادَ أن يخلقنا خلقَ كائناً يُدعى الكلمةَ، ومنحه مجداً إلهياً ارتفعَ به فوقَ سائرِ الخلائقِ، وأعطاه كلَّ سُلْطانٍ إلهيٍّ؛ ليكونَ ربّاً لمجدِ اللهِ الآبِ في الأرضِ والسَّماءِ!

فتعاليمُ آريوس الكريستولوجية (*Christological*) أو الخاصَّةُ بشخصِ المسيحِ في مجملِها تَنصبُّ على أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو ابنٌ بالتبنِّي، وليس ابناً شرعياً يرِثُ والدَه في الجوهرِ والصِّفاتِ[1]!

على أنَّ الاعتقادَ بأفضليةِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ على سائرِ الخلْقِ، وبأنَّ اللهَ تعالى اختصَّه بشيءٍ من السّموِّ والعظمةِ والقُدْرةِ على الإتيانِ بخوارقِ العاداتِ، لا يَمسُّ جوهرَ التوحيدِ الآريوسيِّ، ولا يُبعِدُه كثيراً عن المعتقدِ الصحيحِ للمسلمينَ؛ هذا بفرضِ أنَّ أقوالَ آريوس وتعاليمَه في هذا الصَّدَدِ قد تعرَّضت لكثيرٍ من عملياتِ التشويهِ والتزويرِ.

بالإضافةِ إلى أنَّ كتبَ آريوس وأتباعِه كلَّها تمَّ حرقُها والتخلُّصُ منها، بعد إقرارِ قانونِ الإيمانِ الكنسيِّ في مجمعِ نيقيةَ، وبأمرٍ مباشرٍ من السلْطةِ الزمنيةِ آنذاك.

---

(١) راجع: تاريخ الفكر المسيحي ٤: ٦٢٠ - ٦٣٥.

ثالثـاً: الخِـلافُ في **قضـيةِ صَـلْبِ المسـيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ**؛ حيـث أشـارَ القـرآنُ الكريمُ إلى أنَّ اليهـودَ ادَّعـوا قتلَ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وصلْبَه، وردَّ عليهم بأنَّ ذلك لم يحدث في حقِّهِ أبداً، وأنَّ الأمرَ لا يعدو أن يكونَ قد شُبِّه لهم.

وبالطبعِ لم يتهمهم القرآنُ بالكذبِ في دعواهم، وإنَما وضَّحَ لهم الأمرَ على وجهِهِ الصحيحِ، وأكَّدَ أنَّهم لم يكونوا على دِرايةٍ كافيةٍ بِملابساتِ الحادثةِ على حقيقتِها التي وقعت عليها؛ وهي أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شُبِّه لهم في صورةِ الرجلِ الذي قتلوه وصلبوه..

والحقُّ أنَّ القرآنَ الكريمَ لا يحفلُ كثيراً بقضيةِ موتِ نبيٍّ من الأنبياءِ، ولا يَتطرَّقُ لذكرِ تفاصيلِ كيفيةِ الوفاةِ، وما إلى ذلك، سواءٌ قُتِلَ أو ماتَ حتفَ أنفهِ؛ لأنَّها ليست قضيةً كونيةً أو عقديّةً كبرى يُمكن أن تسترعي الانتباهَ، أو أن تستدعي الذِكرَ والتنويهَ بها وتِلاوتَها والتعبُّدَ بِها على مرِّ الليالي والأزمانِ.

لكن في حالةِ السَّيدِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فإنَّ الوضعَ مختلفٌ تماماً، وقد كان من الممكنِ أن يُغفلَ القرآنُ الكريمُ ذِكرَ تفاصيلِها لولا أنَّها تَمسُّ جوهرَ العقيدةِ بشكلٍ أساسيٍّ، ولولا أنَّها أحدثت لغطاً كبيراً بين اليهودِ والنصارى، وما زالت تُحدِثُ ذلك اللغطَ؛ فكان من الضروريِّ الوقوفُ عندها وتجليَةُ حقيقتِها كاملةً.

وقد عرفنا أنَّ الكنيسةَ قد اتخذت من الادعاءِ بموتِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الصليبِ، أساساً للقولِ بألوهيتهِ؛ كما يذكرُ البروفيسور جوردن مولتمان في كتابهِ (الإلهُ المصلوب)، قائلاً: «إنَّ وفاةَ عيسى على الصليبِ، هي عصبُ كلِّ العقيدةِ المسيحيةِ. وكلُّ النظرياتِ المسيحيةِ عن اللهِ، وعن

الخليقـةِ، وعـن الخطيئـةِ، وعـن المـوتِ، تسـتمِدُّ محورَهـا مـن المسـيحِ المصلوبِ. وكلُّ النظرياتِ عن التاريخِ، وعـن الكنيسـةِ، وعـن الإيمـانِ وعـن التطهُّرِ، وعن المستقبلِ، وعن الأملِ، إنّما تَنبعُ من المسيحِ المصلوبِ»[(١)]!

وهـذا يعنـي أنَّ انتفـاءَ الصَّـلْبِ انتفـاءٌ للمسـيحيةِ ذاتِهـا؛ لـذلك فغالبيـةُ الطوائفِ المسيحيةِ -وبخاصَّةٍ الأرثوذكسيةُ- تُقدِّسُ الصليبَ، بـل وتجعـلُ لـه عِيداً يُطلَقُ عليه (عيدُ الصليبِ)[(٢)]. وأكثرُ المسيحيينَ يَشِمونَ صورةَ الصليبَ على أيديهم ويُعلِّقونَه في أعناقِهم وعلى كنائِسِهم، ويتباركونَ به في حِلِّهم وترحالِهم[(٣)].

والحقُّ أنَّ عقيدةَ الصلْبِ والفِداءِ لها آثارٌ سلبيةٌ كبيرةٌ على الدينِ ذاتِه،

---

(١) أحمد ديدات: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ص١٠، ترجمة: علي الجوهري، ط سنة ١٩٨٩م، دار الفضيلة بالقاهرة.

(٢) تحتفل الكنيسة الشرقية في اليوم العاشر من شهر برمهات، والكنيسة الغربية في اليوم الثالث من شهر مايو من كل عام، بظهور الصليب المقدس على يد القديسة (هلانه) والدة الإمبراطور قسطنطين، سنة ٣٢٦م، حيث يعتقدون أن الصليب ظل مطموراً بفعل اليهود تحت تل من القمامة، إلى أن كُشف للقديسة هيلانه بعد دخولها في المسيحية، التي استطاعت أن تميزه من بين ثلاثة صلبان، فأقامت على المغارة التي اكتشفت فيه الصليب كنيسة القيامة المعروفة في أورشليم، وأرسلت إلى القديس أثناسيوس -بطريرك الإسكندرية آنذاك- فجاء ودشنَ الكنيسةَ في احتفال عظيم سنة ٣٢٨م.

- راجع أعياد النصارى: *http://www.iid-alraid.de/arabisch*.

(٣) انظر الأنبا شنودة الثالث: اللاهوت المقارن - الجزء الأول - ص٢٠، ط٢ سنة ١٩٩٢م، نشر الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة.

وعلى المسيحيينَ أنفسِهم؛ تتمثلُ في الاضطرابِ الفكري والنفسيِّ الناتجَينِ عن تصوّرِ إلهٍ مصلوبٍ، هو ابنٌ وحيدٌ للإلهِ، وفي الوقتِ ذاتهِ يَدفعُ به الإلهُ الآبُ للقتلِ والصلْبِ من أجلِ افتداءِ البشرِ وخلاصِهم!! وهذا بِلا شكٍّ سببٌ رئيسٌ من أسبابِ انتشارِ الإلحادِ، ونفورِ الناسِ من الدينِ؛ إذ كيف يَرضى العقلاءُ بعبادةِ ربٍّ ظالمٍ، أو ربٍّ مصلوبٍ[1]؟!!

أما موحِّدو النصارى، وإن لم يرتضوا هذا الاعتقادَ من ذلك المنطلقِ العقليِّ، إلاَّ أنه لم يُؤثر عنهم رفضُهم لفكرةِ القتلِ والصلْبِ في حدِّ ذاتِها؛ لأنَّ القتلَ كان بمثابةِ العقوبةِ المـُقرَّرَةِ لكلِّ مَن يُحكَمُ عليه بالكفرِ أو الخروجِ على الديانةِ اليهوديةِ.

كما أنَّ التعليقَ على الصليبِ عندهم، كان من الأمورِ التي تَستلْزِمُ اللعنةَ؛ كما وردَ في التوراةِ: «وإذا كان على إنسانٍ خطيئةٌ حقُّها الموتُ فقتل وعلقته على خشبةٍ، فلا تبت جثتُه على الخشبةِ، بل تدفنها في ذلك اليوم؛ لأنَّ المعلَّقَ ملعونٌ من الله»[2].

ولا ريبَ في أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يُنظَرُ إليه في المجتمعِ اليهوديِّ على أنه كافرٌ يَستحِقُّ القتلَ واللعنةَ الأبديةَ. لكنَّ النصارى اعتبروا ذلك نوعًا من التكريمِ لشخصهِ، باعتبارهِ مُخلِّصًا، وفاديًا بجسدهِ كلَّ أصحابِ الخطايا والآثامِ من البشرِ؛ لذلك استحقَّ في التاريخِ المسيحيِّ ذلك الوضعَ المتميزَ،

(١) د.منقذ السقار: هل افتدانا المسيح على الصليب؟ ص١٣، ١٤، ط١ سنة ٢٠٠٧م بالقاهرة.

(٢) سفر التثنية، الإصحاح ٢٢: ٢١، ط سنة ١٩٨٩م، بيروت.

وتلك الصورةَ الذهنيةَ المتفرِّدةَ.

والقرآنُ الكريمُ عندما تناولَ هذه العقيدةَ، ذكرَ أنَّ عِلْمَ النصارى بحقيقةِ مسألة القتلِ والصَّلْبِ، هو عِلْمٌ ظنيٌّ وغيرُ مؤكَّدٍ لهم؛ قال تعالى:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ [النساء: ١٥٧].

والمعلومُ أنَّ كثيراً من النصارى اختلفوا في مسألةِ القتلِ والصَّلْبِ، بدليلِ أنَّ ثلاثةً من الأناجيلِ المعتمدةِ لدى الكنيسةِ (متى، ومرقص، ولوقا) قد ذكرت في هذه الحادثةِ أنَّ التلاميذَ عندَ القبضِ على المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فرّوا وتركوه وحيداً.

ومعنى ذلك أنَّ أحداً من حوارييهِ، أو من المقرَّبين منه، لم يُعاين حالةَ القبضَ عليه أو محاكمتَه، أو مشهدَ رفعهِ على الصليبِ، أو موته ودفنه، أو حالةَ قيامهِ من القبرِ.

وإنما الذي شاهدَ الصلْبَ -كما تروي هذه الأناجيلُ- مجموعةٌ من النِساءِ؛ كُنَّ يَنظُرنَّ من بعيدٍ، وبالتالي تناقلَ الناسُ الخبرَ عن هؤلاءِ النسْوَةِ!

أما رِواياتُ إنجيلِ يوحنا(١)، بأنَّ التلميذَ الذي يُحبُّه المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان حاضِراً في المحاكمةِ ووقتَ الصلْبِ، وأنَّ أمَّ المسيحِ أيضاً كانت حاضرةً؛ فهي رواياتٌ يَنقضُها الدليلُ القاطعُ، خاصَّةً وأنَها جاءت مخالِفةً

(١) الإصحاح ١٨: ١٥- ١٧، والإصحاح ١٩: ١٩، والإصحاح ٢٠: ١- ٦.

لرواياتِ الأناجيلِ الثلاثةِ الأخرى.

هذا، فضلاً عن أنَّ إنجيلَ يوحنا يُعَدُّ أقلَّ الأناجيلِ نصيباً من الصِّحةِ والقبولِ، وعليه اعتراضاتٌ كثيرةٌ من مؤرِّخي المسيحيةِ(١)، وخِلافٌ واسعٌ حولَ شخصيةِ كاتبهِ(٢)!

ولعلَّ موحِّدي النصارى، لم يكن لهم من سبيلٍ سوى تَصديقِ تلك الرواياتِ الشائعةِ في ذلك الوقتِ، وإن كان اعتقادُهم مُنصبًّا على إنكارِ كونِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُتِلَ أو صُلِبَ من أجلِ افتداءِ البشرِ وخلاصِهم.

أما مسألةُ تصديقِهم بقتلهِ وصلْبِهِ، أو عَدمُ تصديقِهم بذلك؛ فهي في حدِّ ذاتِها لا تُمثِّلُ في الحقيقةِ مُعضِلةً كبيرةً لديهم، بل لعلَّهم كانوا أقربَ إلى تصدِيقِها، من مُنطَلَقِ أنّ المسيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما جاءَ بِما يجعلُه في عرْفِ أولئك اليهودِ المنكرينَ لدعوتهِ مُستحقًّا للقتلِ والصلْبِ.

إذن، فالمسألةُ بهذا الشَّكْلِ والتوصيفِ هي محلُّ اتفاقٍ تامٍّ في أصلِ الاعتقادِ بين الإسلامِ وموحِّدي النصارى، وإن لم يستطع النصارى الموحدونَ إثباتَ خُرافةِ قصَّةِ الصَّلْبِ والقتلِ، كما بيَّنَها الإسلامُ.

---

(١) راجع د.أحمد شلبي: المسيحية ص٢٠٨ وما بعدها.

(٢) انظر: أبحاث المؤتمر الكتابي السادس، الذي نظمته الرابطة الكتابية بإقليم الشرق الأوسط في سيدة البير، جل الديب، لبنان في الفترة من ٢٤ - ٣٠ كانون ثان من عام ١٩٩٩م؛ تحت عنوان: (الكلمة صار بشراً، دراسات في إنجيل يوحنا). على الرابط: http://www.create-answer.com.

خاتِمةٌ في نتائجِ البحثِ

تلك هي عقيدةُ التوحيدِ عندَ أوائلِ النصارى؛ إنَّها العقيدةُ التي بدأت في التاريخِ المسيحيِّ -كمذهبٍ لاهوتيٍّ- بدايةً مُبكِّرةً جدًّا؛ إذ إنَّها تَسبِقُ عقيدةَ التثليثِ بعشراتِ السنينَ، ومِن ثمَّ تعكِسُ بدِقَّةٍ التعاليمَ المسيحيةَ الأولى حولَ طبيعةِ اللهِ.

وهذا يعني -كما بيَّنا- أنَّ التثليثَ الذي قرَّرَه المجتمِعونَ في مجمعِ نيقيةَ الأولِ كعقيدةٍ مُلْزِمةٍ للكنيسةِ، في بدايةِ القرْنِ الرابعِ للميلادِ، يُعتبَرُ انحرافًا عن الأصلِ الأولِ، أو عن العقيدةِ الصحيحةِ التي جاءَ بِها السَّيدُ المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومَن قبله من الأنبياءِ والرسلِ الكِرام.

ولا ريبَ في أنَّ آريوس ومَن سبقَه من أوائلِ الموحِّدينَ، كانوا في حقيقةِ الأمرِ يُحاربونَ في معركةٍ غيرِ مُتكافئةٍ؛ عندما حاولوا إنقاذَ ما تَبقَّى من عقيدةِ التوحيدِ التي بُدِّدَت في مجمعِ نيقيةَ وما تلاه من مجامعَ كنسيةٍ أخرى!

فإذا كان بولس السيمساطي، وآريوس، وغيرُهما من أوائلِ الموحِّدينَ، قد عُرِفوا في التاريخِ المسيحيِّ عن طريقِ أعدائِهم ومُخالِفيهم الذين اعتبروهم جميعًا (مهرْطقين)، فمن الطبيعيِّ أن يتعرَّضوا لمحاولاتٍ كثيرةٍ من التشويهِ والدِّعاياتِ المُضلِّلَةِ، وأن تتعرَّضَ تعاليمُهم ومؤلَّفاتُهم لسلْسلةٍ من عملياتِ التحويرِ أو التزويرِ أو الطمْسِ.

لذلك، يَنبغي ألاَّ نلتفِتَ كثيراً إلى تضارُبِ الأخبارِ والأقوالِ حولَ عقائدِ أولئك الموحِّدينَ؛ إذ يكفينا أنَّهم أعلنوا منذ البدايةِ تَمسُّكَهم بالمسيحيةِ

الأولى، وجاهروا بإيمانِهم باللهِ الواحدِ الأحدِ، بل وهتفوا بأنَّ المسيحَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مُجرَّدُ إنسانٍ مخلوقٍ، غير أزليٍّ، ليس به جزءٌ لاهوتيٌّ، وإن صاحبته النعمةُ والعنايةُ الإلهيةُ؛ وهذا يكفي جِدّاً للحُكمِ عليهم بأنَّهم مسلِمو العقيدةِ، ومن جملةِ الموحِّدينَ.

هذا، ويبدو أنَّ تلك العقائدَ المصطدِمةَ مع الفطرةِ وقواعدِ العقلِ والمنطقِ التي أقرَّتَها المجامعُ الكنسيةُ المدعومةُ من السلْطةِ الزمنيةِ الحاكمةِ، كانت سبباً مُهمَّاً في قيامِ عِدَّةِ حركاتٍ إصلاحيةٍ للكنيسةِ الكاثوليكيةِ في الغربِ؛ لعلَّ أهمَّها:

- حركةُ الإصلاحِ الديني البروتستاني، على يدِ أحدِ القساوسةِ الألمانِ (مارتن لوثر) [ت ١٥١٧م] في القرنِ السَّادسِ عشرَ للميلادِ.

كما كانت تلك العقائدُ سبباً قويَّاً في انتشارِ عدَّةِ حركاتٍ ودعواتٍ توحيديةٍ وإصلاحيةٍ في جميعِ أنحاءِ العالمِ المسيحيِّ، بعدَ أقلَّ من نصفِ قرْنٍ من قيامِ حركةِ الإصلاحِ الديني البروتستاني؛ مِنها على سبيلِ المثالِ:

- الحركةُ المـُضادَّةُ للتثليثِ، التي انتشرت في شمالِ إيطاليا خلالَ المدة من (١٥١٧م - ١٥٥٣م).

- والحركةُ المعاديةُ للتثليثِ في بولندا، التي ظهرت في منتصفِ القرْنِ السَّادسِ عشرَ. ومن قبلها (جماعةُ الليبراليينَ البولنديينَ)؛ التي أصدرت في عامِ ١٦٠٥م إعلاناً تقولُ فيه: «إنَّ اللهَ واحدٌ في ذاتِه. والمسيح إنسانٌ حقيقيٌّ، ولكنه ليس مجرَّدَ إنسانٍ. وإنَّ روحَ القدسِ ليس أقنوماً، لكنه قُدْرةُ اللهِ».

ثم أنكرَت الخطيئةَ الأصليةَ الأولى، أو خطيئةَ آدم المتوارثةَ كما هو الاعتقادُ السَّائدُ في المسيحيةِ.

كذلك، وصلَ الأمرُ بالموحِّدينَ في أوروبا إلى حَدٍّ أن كان لهم في دولةِ المجرِ حاكمٌ موحِّدٌ؛ هو (جون سيجسموند) الذي حكمَ المجرَ في المدة (١٥٤١ - ١٥٧٠م) وهو ما يزالُ طِفلاً، بعد وفاةِ والدِهِ (يانوش زابوليا).

وقد عُرِف (جون سيجسموند) بتسامحِهِ الدينيِّ، وبتشجيعِهِ للحوارِ والمناظراتِ بين التوحيديينَ الكاثوليك واللوثريينَ والكالفنيينَ.

كما عُرِفَ عن المُحققِ البريطاني جون بيدل (*John Biddle*) [١٦١٥ - ١٦٦٢م]، بأنه (أبو مذهبِ التوحيدِ) في إنجلترا؛ حيث قامَ بنشاطٍ إصلاحيٍّ كبيرٍ في بريطانيا العُظمى، ونشرَ عِدَّةَ رسائلَ في التوحيدِ وإبطالِ عقيدةِ التثليثِ وألوهيةِ المسيحِ، الأمر الذي عرَّضَه وأتباعَه للاضطهادِ والسّجنَ عدَّةَ مرَّاتٍ إلى أن ماتَ وهو سجينٌ، وبَقِيت أفكارُه الإصلاحيةُ ذاتَ تأثيرٍ كبيرٍ في الكثيرِ من مُتحرِّري الفكرِ في أوروبا؛ من أمثالِ: عالم الفيزياءِ الشهيرِ إسحق نيوتن (*Issac Newton*)، وعالم الاجتماعِ المعروفِ جون لوك (*John Lock*)، وغيرِهما ممن كان له أثرٌ كبيرٌ في النهضةِ الأوروبيةِ الحديثةِ(١).

وفي أمريكا أيضاً، ظهرت عِدَّةُ حركاتٍ توحيديةٍ على يدِ الليبراليينَ، في

---

(١) راجع أشهر القساوسة المسيحية الموحدة، على الرابط التالي:

http://www.ebnmaryam.com.

القرنِ الثامنَ عشرَ في ولايةِ بوسطن؛ وكلُّهم كانوا آريوسيينَ في الأصلِ؛ من أمثالِ الدكتور تشالرز شاونستي [١٧٠٥ - ١٧٨٧م] راعي كنيسةِ بوسطن، والدكتور يوناثان ميهيو الذي ناضلَ بِشدَّةٍ ضدَّ عقيدةِ التثليثِ.

كما تكوَّنت جمعيةُ التوحيدِ الأمريكيِّ عام ١٨٢٥م، وأُنشئت مدرستانِ لتخريجِ رجالِ دينٍ لنشرِ عقيدةِ التوحيدِ وتعاليمِ آريوسَ؛ إحداها في شيكاغو، والأخرى في بركلي -بكاليفورنيا- وغير ذلك الكثير(١).

هذا، أما عن واجبِنا -نحن المسلمينَ- تِجاهَ هؤلاءِ الموحدينَ من النصارى، فهو ليس فقط تفقُّدُ أماكنِ وجودِهم، وإنما التواصلُ الدائِمُ معهم، ومَدُّ يدِ العونِ لهم بقدرِ المُستطاعِ، ومحاورتُهم بِما يَستهدِفُ إظهارَ الحقائقِ وتقريبَ وجهاتِ النظرِ على أساسِ القدْرِ المشتركِ والمتُفقِ عليه في مسائلِ العقيدةِ بين الجميعِ.

واللهُ تعالى وليُّ التوفيق والسَّدادِ.

كتبه/ د. عبد البديع محمد عبد الله

أستاذ العقيدة والأديان المساعد بقسم

الدراسات الإسلامية - كلية العلوم والآداب

بالخفجي - جامعة حفر الباطن

---

(١) راجع: م. أحمد عبد الوهاب: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص٣٩ وما بعدها، ط سنة ١٩٨٠م، مكتبة وهبة بالقاهرة.

قائمةُ المصادرِ والمراجع

(أسماءُ المؤلِّفين مرتبةٌ ترتيبًا أبجديًا بعد حذفِ التعريفِ والكنيةِ)

- **أولاً: القرآن الكريم.**

- **ثانيًا: الكتاب المقدس**، الطبعة المعتمدة من الكنيسة المصرية، ط٦ سنة ١٩٩٩م، دار الكتاب المقدس بالقاهرة.

- **ثالثًا: المصادر والمراجع:**

١ - **أثناسيوس الرسولي** (القديس): **دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية**. إعداد وترجمة: القس أثناسيوس فهمي جورج، عن النص الإنجليزي الوارد في:
Aselect Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of The Christian Church, second series, volume IV, 1991, PP.149-172, Fdidted by Philp Schaff and Henry Wace.

٢ - **أحمد ديدات** (العلامة): **مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**. ترجمة: علي الجوهري، ط سنة ١٩٨٩م، دار الفضيلة بالقاهرة.

٣- **أحمد شلبي** (الدكتور): **المسيحية** - ضمن سلسلة مقارنة الأديان - ط٦ سنة ١٩٨٧م، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

٤ - **أحمد عبد الوهاب** (مهندس): **طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون**. ط سنة ١٩٨٠م، مكتبة وهبة بالقاهرة.

٥ - **أسد رستم** (الدكتور): **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى**. ط سنة ١٩٨٨م، المكتبة البولسية، بيروت لبنان.

٦- **إنجيل برنابا:** ترجمة المؤرخ خليل سعادة. ط١ سنة ١٩٧٣م، دار القلم بالكويت.

٧- **جريجوريوس** (القديس الناطق بالإلهيات): **ثيئوفانيا ميلاد المسيح - أو أنشودة الميلاد** - نصوص آبائية، ط المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية - مؤسسة أنطونيوس - القاهرة.

٨ - **جوان فرشخ بجالي:** «**مَن يصدق إنجيل يهوذا؟**»، مقال منشور في جريدة الأخبار اللبنانية - صفحة تراث وآثار - العدد رقم ٥٤٤، بتاريخ: السبت ٧ حزيران عام ٢٠٠٨م.

٩- **جورج حبيب بيباوي: المعمودية في الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية** - دراسة للعقيدة والطقس في القرون الخمسة الأولى - ط سنة ٢٠٠٧م، الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

١٠- **حسني يوسف الأطير: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية.** ط١ سنة ١٩٨٥م، دار الأنصار بالقاهرة.

١١- **حشمت كمال** (شماس إكليريكي): **قاموس الجيب للمصطلحات الدينية.** نشر سنة ١٩٩٩م، القاهرة.

١٢- **حنا جرجس الخضري** (الدكتور القس): **تاريخ الفكر المسيحي - يسوع المسيح عبر الأجيال** - ط١ سنة ١٩٨١م، دار الثقافة، ودار الطباعة القومية بالفجالة.

١٣- **رمسيس عوض** (الدكتور): **الهرطقة في الغرب.** ط١ سنة ١٩٩٧م، دار سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي، بيروت لبنان.

١٤- **الزمخشري** (أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٢٨هـ): **الكشاف عن غوامض التنزيل**. ضبط: مصطفى حسين أحمد، ط سنة ١٩٦٦م، دار الريان بالقاهرة.

١٥- **ساويرس بن المقفع، أسقف أشمون ت ٩٨٧م (الأنبا): تاريخ البطاركة**. تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، ط١ سنة ٢٠٠٦م، مكتبة مدبولي بالقاهرة.٠٠

١٦- **شنودة الثالث ت ٢٠١٢م** (الأنبا): **طبيعة المسيح**. ط١ سنة ١٩٩١م، نشر الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة.

١٧- **شنودة الثالث ت ٢٠١٢م** (الأنبا): **اللاهوت المقارن** - الجزء الأول - ط٢ سنة ١٩٩٢م، نشر الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة.

١٨- **الشهرستاني** (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ): **الملل والنحل**. تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، ط٦ سنة ١٩٩٧م، دار المعرفة، بيروت لبنان.

١٩-طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم الجوزية، ت: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم – الرياض، ط الأولى , ١٤٢٥

٢٠- **عباس محمود العقاد: الله - كتاب في نشأة العقيدة الإلهية** - ط٨ دار المعارف بالقاهرة.

٢١- **عبد الحميد سرحان: العقائد الإسلامية وإنجيل برنابا**. ط مكتبة الصحابة الإسلامية، السالمية، الكويت.

٢٢- **عبد الرحمن بدوي** (الدكتور): **موسوعة الفلسفة**. ط١ سنة ١٩٨٤م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان.

٢٣- **ابن العبري** (أبو الفرج بن هارون الملطي، المعروف بابن العبري ت ١٢٨٦م): **تاريخ مختصر الدول**. ط سنة ١٩٥١م، المطبعة الكاثوليكية، بيروت لبنان.

٢٤- **ابن قرناس** (أو ابن فرناس): **مسيحية بولس وقسطنطين**. ط١ سنة ٢٠٠٨م، منشورات الجمل، بغداد.

٢٥- **كامل سعفان** (الدكتور): **مسيحية بلا مسيح**. ط سنة ١٩٩٧م، دار الفضيلة بالقاهرة.

٢٦- **محمد أبو زهرة** (الشيخ): **محاضرات في النصرانية**. ط سنة ١٩٦٦م، دار الفكر العربي.

٢٧- **محمد طاهر التنير**: **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**. ط١ سنة ١٩١٢م.

٢٨- **محمد عطا الرحيم**: **عيسى المسيح والتوحيد**. ترجمة: عادل حامد، ط١ سنة ٢٠٠١م، نشر مركز الحضارة العربية بالقاهرة.

٢٩- **محمد علي زهران** (الدكتور): **إنجيل يوحنا في الميزان**. ط١ سنة ١٩٩٢م، دار الأرقم بالزقازيق.

٣٠- **محمود شلتوت** (الإمام الأكبر): **الإسلام عقيدة وشريعة**. ط١٨ سنة ٢٠٠١م، دار الشروق بالقاهرة.

٣١- **منسى القمص** (الشماس): **تاريخ الكنيسة القبطية**. ط١ سنة ١٩٢٤م، مكتبة اليقظة بالفجالة، مصر.

٣٢- **منقذ السقار** (الدكتور): **هل افتدانا المسيح على الصليب؟** ط١ سنة ٢٠٠٧م، القاهرة.

٣٣- **نشرة أبناء التجلي**، الصادرة عن دير تجلي الرب، رام الله فلسطين، السنة الخامسة، العدد ٥٥ تموز ٢٠٠٢م.

٣٤- **ول ديورانت**: **قصة الحضارة**. ترجمة: محمد بدران، ط سنة ٢٠٠٢م، طبعة خاصة بمشروع القراءة للجميع، مكتبة الأسرة.

٣٥- **وليم إدي** (الدكتور): **الكنز الجليل في تفسير الإنجيل - شرح بشارة متى** - الصادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، سنة ١٩٧٣م، بيروت لبنان.

٣٦- **ياروسلاف تشرني**: **الديانة المصرية القديمة**. ترجمة: د.أحمد قدري، ط١ سنة ١٩٩٦م دار الشروق بالقاهرة.

٣٧- **يوسابيوس القيصري**: **تاريخ الكنيسة**. تعريب القمص: مرقس داود، ط سنة ١٩٧٩م القاهرة.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ٣٨٧
المقدمة ٣٩٣
المبحث الأول: حقيقة التوحيد في المسيحية قبل مجمع نيقية ٣٩٨
الموحدون الأوائل في المسيحية ٤٠٦
المبحث الثاني: تأثير المجامع المسكونية في تقرير عقائد المسيحية ٤٢٧
المبحث الثالث: عقائد النصارى الموحدين في ضوء الفكر الإسلامي ٤٤٦
الإسلام وعقائد موحدي النصارى ٤٥٠
خاتمة في نتائج البحثِ ٤٦٥
قائمة المصادر والمراجع ٤٦٩
فهرس الموضوعات ٤٧٤